جامعة محمد بوضياف – المسيلة

كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية

قسم التاريخ

عنوان المذكرة:

الأثر السياسي للعلماء في العهد المرابطي و الأندلس

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر أكاديمي في التاريخ تخصص: تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط

إعداد الطالب:

- تالي ليندة

إشراف الدكتور:

خلفات فاتح

لجنة المناقشة:

الاسم و اللقب	الرتبة	الصفة
.....	.....	رئيسا
خلفات فاتح	أستاذ محاضر	مشرفا ومقررا
.....	.....	ممتحنا

"جوان 2021"

شكر وتقدير

بفضل سعة علمه وغزارة معارفه ازددت رغبة وشوقا إلى البحث في مجال الإعلام و الاتصال

لن أجد الكلمات الكافية التي تفي بعض في حقك إذ كان نعم المرشدة والناصحة لنا

وجدته دائما رحب الصدر كلما احتجت له، مساندة له بالتوجيه السديد والجدية في العمل

لك مني أستاذي ومشرفي : **خلفات فاتح** كل التقدير والاحترام على ما بذلته وتبذله في سبيل خدمة الإعلام و الاتصال

الإهداء

إلى الله ربالعالمين، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وبعد

إلى أحب الناس إلى قلبي حفظها الله وأبقاها تاجا فوق رأسي شافية

إلى من أحسن تربيتي وكان دائما عونا لي إلى من عمل لأجلي حفظه الله وأطال وأطال في عمره أبي

إلى جميع أخواتي نجوى، ياسمين، إشراق

إلى زوجي و سندي الذي لم يبخل عني من زاد معرفته

إلى ابني الصغير أنيس

إلى زملائي وزميلاتي في دفعة 2021/2020 قسم التاريخ جامعة محمد بوضياف المسيلة

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

مقدمة	أ
الفصل الأول العلماء وتأسيس الدولة	
تمهيد	**10**
العلماء وتأسيس الدولة	**11**
التعريف بصنهاجة اللثام	**11**
ظهور المرابطين	**12**
عبد الله بن ياسين ودوره في قيام دولة المرابطين	**12**
مرحلة الرباط	**14**
مرحلة الخروج من الرباط	**17**
الأمير أبو بكر بن عمر ومواصلة جهود عبد الله بن ياسين	**21**
الأمير أبو بكر بن عمر والجهاد في السودان الغربي	**22**
الفصل الثاني أثر العلماء في الإتجاه الفكري للدولة	
المذهب الفقهي للمرابطين	**24**
مذهب العلماء في الحكم في عهد المرابطين	**26**
نظام البيعة	**27**
أما النظام الثاني فهو نظام الشورى	**27**
أما النظام الثالث فهو نظام القضاء	**29**
مذهب العلماء المرابطين العقائدي وموقفهم من التصوف	**30**

الفصل الثالث	العلماء وسياسة المرابطين الوحدوية

العلماء وسياسة المرابطين الوحدوية	**35**
الحال في الأندلس عند قيام دولة المرابطين	**35**
سقوط طليطلة و إستنجاد العلماء الأندلسيين بالمرابطين	**37**
دور العلماء في موقعة الزلاقة	**39**
العلماء وجهودهم في توحيد العدوتين	**40**
دور العلماء في إسقاط أمراء الطوائف وتوحيد العدوتين	**41**
العلماء في مواجهة السلطة	**45**
ثورات القضاة في الأندلس	**50**
العلماء حكامة	**52**
القاضي ابن جحاف: حاكم بلنسية	**53**
ثورة ابن حمدين	**58**
أثر العلماء في الدعوة والجهاد	**60**
أثر العلماء في الدعوة	**60**
نتائج جهود العلماء في الدعوة	**62**
ثانيا : أثر العلماء في الجهاد	**64**
خـــاتمة	**66**
قائمة المصادر و المراجع	**70**

مـــــقدمة

مقدمة :

ظفر تاريخ المغرب والأندلس بحظ وافر من عناية الباحثين عربا وغير عرب، على أن هذه العناية تركزت على بلورة ما كان للحكام – أمراء وخلفاء – من أعمال وانجازات وغزوات وفتوحات على حين ظل ما أسهم به غيرهم من فئات الشعب المغربي والأندلسي في صنع تاريخ هذا البلد ونسج رقعته الواسعة غير مدروس ولا معرف به، ولعل هذا كان في جملة ما تذرع به المستشرقون للطعن في التاريخ الإسلامي حين وصفوه بأنه تاريخ أمراء وخلفاء وليس تاريخ أمة بمجموع فئاتها، ومع أننا ندرك جيدا أن تاريخ الأمة الإسلامية في المغرب أو الأندلس أو في غيرهما كان يتجسد في تاريخ خلفائها خاصة حينما تستقيم سيرهم ويلتحمون مع شعوبهم، إلا أننا لا ننكر أن الإهتمام برصد الاسهام الذي كان لمختلف أبناء الأمة في صنع تاريخها أمر بالغ الأهمية لأننا نستطيع به أن نستكمل حلقات البحث التاريخي ونصل بينها، وفي نفس الوقت نستطيع أن نضع من خلال ما ننجزه من دراسات حول إسهام هذه الفئة أو تلك في هذا القطر أو ذلك من أقطار الإسلام في صنع تاريخ أمتها وتوجيهه نماذج حية نابضة بالحركة تحت أنظار أبناء الأمة للعلم والذكرى والإحتذاء..

وإذا كان المؤرخون المتخصصون في تاريخ الغرب الإسلامي لم يولوا – شأنهم في ذلك شأن غيرهم من غالبية المؤرخين – غير الحكام إهتمامهم فإن المؤرخين القدامى والأندلسيون خاصة أولوا إحدى فئات المجتع الأندلسي وهي فئة العلماء عناية بالغة حين ترجموا لرجالاتها فيما ألفوا من معاجم وحين تتبعوا مروياتهم ومبادراتهم العلمية وغير العلمية وفيما ألفوا من فهارس، وفي هذا كما هو واضح رد غير مردود على مطاعن المستشرقين (بجزئية) التاريخ الإسلامي.

ومن المؤكد أن هذه الفئة، وهي فئة العلماء، وإن كانت قد ظفرت من المؤرخين القدامى بمثل العناية المشار إليها آنفا لم يلتفت إليها – إلا نادرة – من قبل المؤرخين المحدثين فكان هذا

وذاك مما دفع بي إلى التفكير في إجراء البحث والحفريات التاريخية عن دور العلماء ليس في مجال الدرس العلمي وما إليه – فهذه كلها قد استهلكت بتكرار البحث فيها وإعادة درسها – ولكن في مجال السياسة والحكم ورأيت أنه يمكن إنجاز مثال لهذه الدراسة في هذا الموضوع من خلال البحث في الدور السياسي للعلماء في عصر المرابطين. وهو موضوع بكر – على حد علمي .

فباستثناء دراستين اثنتين حول العلماء في تاريخ الغرب الإسلامي لا نعلم أن أحدة من الدارسين من العرب والمستشرقين عني بالبحث في هذا الموضوع. أما الدراستان المذكورتان فاحداهما جزئية وهي حول علماء الأندلس في عهد دول الطوائف وقد تتبع فيها كاتبها الدكتور / محمد بن عبود – ما نهض به علماء الأندلس خلال حكم الطوائف من أدوار هامة إجتماعية وسياسية وهي كما نلاحظ تتعلق بالفترة السابقة لفترة المرابطين. أما الدراسة الثانية فهي دراسة إجتماعية وهي التي أنجزها الدكتور (دومنيك أرفوي) بعنوان "عالم العلماء الأندلسيين من القرن الخامس إلى القرن السادس الهجري، باللغة الفرنسية.

وكانت الغاية عند مؤلف هذه الدراسة تطبيق المنهج الرياضي الإحصائي على العلماء في القرنين المذكورين. لذا اكتست أهمية خاصة باعتبارها تجربة فريدة تطبق منهجا سيسيلوجية عصرية على فترة تاريخية قديمة، ومن الإنصاف القول أنها أسهمت في الكشف عن المعالم الرئيسية لحركة العلماء في القرنين المذكورين الثقافية والفكرية خاصة، كما أنها إستطاعت أن تقدم كشف بالتخصصات الثقافية والاتجاهات الفكرية لدى علماء الفترة المذكورة.

الفصل الأول

العلماء وتأسيس الدولة

تمهيد

في المغرب الإسلامي قبل المرابطين لقد أرسل الله نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بالإسلام لينقذ الناس من الظلمات إلى النور ويهديهم سبيل الرشاد صراط الله المستقيم. وجعل الله هذه الرسالة خاتمة الرسالات الخالدة إلى يوم الدين. وبعد أن إنتقل رسول هذه الأمة عليه الصلاة والسلام إلى الرفيق الأعلى بعد أن بلغ الرسالة وأدى الأمانة، حمل لواء الإسلام من كل جيل عدوله ينيرون سبل الأمة ويحفظون عليها دينها الذي هو مصدر وجودها وضمان إستمرارها.

إن هؤلاء العدول الأخيار هم العلماء ورثة الأنبياء الذين بهم يصلح الناس وترشد المجتمعات. فهم الذين ينيرون درب الحياة فيرشدون الأمة إلى مستقيم الطرق، ويدلونها على الخير ويأمرونها به وينهونها عن المنكر.

إن علماء هذه الأمة الإسلامية قد وعوا منذ تنزلت الرسالة على رسول الله صلى الله عليه وسلم أن واجبهم في هذه الحياة هو أن يكونوا ضمير الأمة الحي الذي أنيط به واجب تمييز الخبيث من الطيب والحق من الباطل والظلمات من النور بالدعوة إلى العزيز الحميد والحفاظ على الأمة أن تجتالها الشياطين فتخسر الدنيا والآخرة. إن هذه الرسالة الخاتمة الخالدة هي الطريق المستقيم الذي إرتضاه الخلاق العليم لهذه البشرية من أجل صلاح أمرها في الدنيا وفلاحها في الآخرة.

ولما كان العلماء هم حفظة هذا الدين كانوا أمناء هذه الأمة وقوادها في خضم هذه الحياة يجلون ليلها ويبينون سنن الهدي إذا اشتبهت الأمور وينصحون لها ويضربون على يد منحرفها لينقذوا سفينة الخير من الغرق. إن هؤلاء العلماء الذين كانوا المثل.

العلماء وتأسيس الدولة :

عاش المغرب الأقصى في العقد الثالث من القرن الخامس الهجري بداية تحول تاريخي عظيم سيؤدي إلى تغيير في وجه التاريخ في منطقة المغرب الأقصى وموريتانيا وافريقيا الغربية والأندلس. هذا التحول التاريخي ستقوم به قبائل من صنهاجة اللثام بانشائهم دولة المرابطين.

التعريف بصنهاجة اللثام :

صنهاجة اللثام أو الملثمون هم فرع من قبيلة صنهاجة البربرية وقد تميز الملثمون عن باقي صنهاجة بإتخاذ اللثام شعارا لهم. [1]

والملثمون مجموعة قبائل من أهمها جدالة ولتونة ومسوفة وجزولة ولطة.[2]

ومضارب الملثمين تمتد من الشمال إلى الجنوب شاملة وادي السوس ووادي درعة[3] وموريتانيا الحالية إلى شاطيء نهر السنغال[4].

وكانت هذه القبائل في معظمها تعيش حياة بدوية وإن كان لبعضها مدن مثل مدينة ازوكي[5] ومدينة أوليل[6].

---

[1]– البكري: المغرب في وصف افريقية والمغرب ج 2 ص 807؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان ج 7 ص 128؛ ابن خلدون: العبر ج6 ص 189؛ ابن ابي زرع: الأنيس المطرب بروض القرطاس ص 119.

[2]– مجهول: الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ص 17؛ ابن خلدون ، العبر ج6 ص 181 H.TERASSE: Histoire du Maroc P.213

[3]–وادي السوس: بلاد تقع بين الأطلس الكبير والأطلس الصغير ، الحميري: (الروض المعطار ص 329 ؛ وادي درعة: واد بجنوب المغرب تقع به مدينة درعة التي تبعد ثلاث مراحل من سجلماسة (الحميري: الروض المعطار ص 239)

[4]–الحلل الموشية: ص 17؛ ابن ابي زرع: روض القرطاس ، ص 120.

[5]– أزوكي: قرية توجد على بعد (10) كيلومتر شمال مدينة أطار بموريتانيا.

[6]–أوليل: جزيرة على الساحل الموريتاني بها ملاحة مشهورة (الادريسي ص 92).

إلا أن هذه المدن كانت في الأساس مراكز تجارية ومحطات ربط بين المغرب وبلاد السودان. عرف الملثمون الاسلام منذ القرن الأول الهجري، إذ تذهب بعض الروايات إلى أن عقبة بن نافع قد وصل إلى مدينة نول.[1]

ظهور المرابطين :

عندما تولى يحي بن ابراهيم الجدالي زعامة الملثمين تاقت نفسه إلى الحج كما فعل أسلافه فخرج إلى الحج سنة 429 هـ مع طائفة من زعماء قومه.[2]

- عبد الله بن ياسين ودوره في قيام دولة المرابطين:

هو عبد الله بن ياسين بن مكوك الجزولي[3] ولد في قرية قرب اودغشت في طرف صحراء غانة ولا تذكر المصادر شيئا عن الفترات الأولى من حياته سوى أنه رحل في طلب العلم إلى الأندلس في عهد ملوك الطوائف وأقام بها سبع سنين، وأنه حصل علما كثير.[4]

ثم رجع إلى المغرب الأقصى حيث هاله الوضع المتردي الذي كان يعيشه وحالة التشرذم والفوضى التي كانت سائدة ومجانبة تعاليم الدين الصحيح وحاول عبد الله أن ينصح ويدعو إلى الألفة والخير بتطبيق شرع الله وتوحيد الصف وراء إمام ينفذ حكم الله، لكن دعوته لم تلق أذنة

[1]– نول: مدينة من مدن الملثمين تنسب إلى قبيلة لمطة تقع على نهر يحمل نفس الإسم خلفتها اليوم مدينة تندوف (الادريسي: ص 75؛ محمد شعيرة: المرابطون تاريخهم السياسي ص 16).

[2]– مجهول: الحلل الموشية ص 9 ؛ ابن عذاري: البيان المغرب ج4 ص 7.

[3]–الجزولي نسبة إلى قبيلة جزولة في أقصى المغرب (البكري: المسالك ج٢ ص ٨٠٩؛ ابن أبي زرع: الأنيس الطرب ص 124 ويميل الدكتور حسن محمود إلى نسبة عبد الله بن ياسين إلى قبيلة جدالة بدلا من جزولة: قيام دولة المرابطين ص 114 لم يذكر د. حسن محمود مستند لرأيه هذا وقد أشار محمد المختار السوسي في كتابه (المعسول ج٨ ص 324) بأنه وقف على "نسبة ابن ياسين في عداد السملاليين".

[4]–الحلل الموشية: ص 20 ؛ محمد شعيرة: المرابطون ص 30.

واعية[1] فالقلوب مشربة بالضلال فما كان الوعظ الحسن ليؤثر فيها.

وأمام الإعراض الذي لقيه ارتحل عبد الله بن ياسين إلى دار المرابطين حيث تتلمذ على شيخها وجاج بن زلو[2]. وقد تأثر عبد الله بن ياسين بشيخه وجاج أيما تأثر وأكتسب منه صفات فقهاء المالكية الكبار مثل البعد عن السلطان والزهد والتقشف والإيواء إلى الربط تقرب إلى الله. هذه النشأة العملية العلمية خلقت لدى عبد الله بن ياسين شخصية متميزة فكان شهما قوي النفس حاذق ذا رأي وتدبير حسن ذكيا نبي؟ من أهل الفضل والدين والورع، مهيبا.[3]

ولما وقع اختيار وجاج بن زولو على عبد الله بن ياسين ليقوم بمهمة الإصلاح[4] وأمره أن يسير مع يحي بن إبراهيم الجدالي إلى وطنه وطن الملثمين حيث سيكون مسرح الأحداث.

وصل عبد الله بن ياسين إلى بلاد الملثمين "موريتانيا الحالية" صحبه الأمير يحي بن ابراهيم الجدالي الذي كان يحدوه الأمل أن يكون هذا القدوم بداية تحول إلى الطريق المستقيم .[5]

القي عبد الله بن ياسين كل ترحيب وحفاوة، لكن واقع الملثمين هاله لما وجدهم عليه من بعد عن الدين وخروج على مبادئه وجهل بالمعروف من الدين بالضرورة، فكان الرجل منهم يتزوج من النساء ما شاء[6] وبعضهم يرتكب أفعال الزنا وغير ذلك فنهاهم عن ذلك. وكان عبد الله بن ياسين

---

[1]– ابن عذاري: البيان المغرب ص10 ؛ سامي النشار: مقدمة تحقيق كتاب السياسية للمرادي ص 13.

[2]–الحلل الموشية: ص 20 ؛ عصمت دندش: دور المرابطين في نشر الإسلام في افريقيا ص 63.

[3]–ابن أبي زرع: الأنيس المطرب ص123؛ سعدون نصر الله: دولة المرابطين ص22.

[4]–د. صباح الشيخلي: حقائق جديدة عن الحركة المرابطية ؛ بمحلة المؤرخ العربي العدد27 ص90.

[5]–يدل على ما كانوا يحسونه من مستقبل عظيم بقدوم عبد الله بن ياسين ما رواه النويري أن أحد شيوخ الملثمين لما رأى عبد الله بن ياسين على جمله داخلا أرضهم قال: أرأيتم هذا الجمل لابد أن يكون له في هذه الصحراء شأن عظيم. (النويري: كتاب تاريخ المغرب الإسلامي من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب 377).

[6]–ابن أبي زرع: الأنيس المطرب ص124 ؛ عبد الله كنون: عبد الله بن ياسين ص9 .

يتدرج بهم في فهم الإسلام من البسيط إلى المعقد فكان يفسر لهم القرآن ويروي لهم الحديث.[1]

مرحلة الرباط :

قرر عبد الله بن ياسين إنشاء رباط يعتزل فيه غمرة الحياة اليومية بين الناس، يصلح فيه نفسه ومن آوى إليه من الناس عن طريق العلم والعبادة.

ولم يكن عبد الله بن ياسين حين أقام رباطه بمبتدع بل كان يسلك طريقة سلكها أهل الخير منذ ابتداء الإسلام استجابة لدعوة الله تعالى " يأيها الذين امنوا أصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون"[2]. وقد أقام ولاة الثغور كثيرا من الربط لحماية حدود الدولة الإسلامية فكان في بلاد ما وراء النهر عشرة آلاف رباط.[3]

وكان أول رباط في افريقية هو الذي بناه هرثمة بن أعين[4]. سنة 179هـ. وقد إنتشرت الربط في عهد الأغالبة وانتشرت من الأسكندرية إلى المحيط الأطلسي . [5]

وكانت الربط إلى جانب مهمتها العسكرية في مدافعة العدو ومأوى للعباد والنساك.

وقد اختلف المؤرخون في تحديد مكان رباط عبد الله بن ياسين وتضاربت أراؤهم فيرى فريق منهم أنه في جزيرة قبالة البحر الغربي أي المحيط الأطلسي.[6]

---

[1]–الحلل الموشية: صص20 ؛ د. حسن محمود: قيام دولة المرابطين ص 119.

[2]– سورة آل عمران: الآية 199.

[3]– دائرة المعارف الإسلامية: مادة رباط ج10 ص 19.

[4]– هرمة بن أعين: والي افريقية للعباسيين من سنة 179 – 181، وقد بنى قصر المنستير وهو من أهم الأربطة في افريقية (ابن الأثير: الكامل ج5 ص 96).

[5]– دائرة المعارف الإسلامية: مادة رباط ج10 ص 19 – 20.

[6]– ابن أبي زرع: الأنيس الطرب ص 129، عبد الله كنون: عبد الله بن ياسين ص10.

في حين يرى فريق آخر أنها جزيرة في مصب نهر السنغال[1]. ويذهب بعض الباحثين الأوربيين المتأخرين[2] إلى تحديد مكان الرباط في جزيرة "تدرا" على الشاطيء الموريتاني وذلك بناء على دراسات ميدانية قاموا بها".[3]

المهم من الأمر أن الرباط كان بمكان منقطع عن العمارة بعيد عن مجتمع أهل البطالة والمشاغبين الذين تألبوا على عبد الله بن ياسين.

دخل عبد الله بن ياسين الرباط في نفر قليل تحدده بعض الروايات بتسعة أشخاص[4] عاشرهم عبد الله بن ياسين. وكان هؤلاء النفر هم النواة التي كونت المجتمع الجديد ومن أبرز رفاق ابن ياسين في هذه المرحلة الحاسمة يحي بن عمر اللمتوني وأخوه أبو بكر بن عمر اللذين سيكون لهما دور كبير في إقامة صرح دولة المرابطين.

كان رباط عبد الله بن ياسين قائمة على التجرد من طلب المنافع الدنيوية، والتقشف القائم على الخشونة، وعلى الطاعة المناسبة للجهاد وعلى طلب العلم والعبادة .[5]

وكانت الحياة في هذا الرباط قائمة على أساس الإكتفاء الذاتي فكان رجال الرباط يقومون بتموين أنفسهم بأنفسهم عن طريق صيد ما يحتاجون إليه من صيد البر والبحر وإعداد الطعام لأنفسهم وبناء الرباط وصنع الثياب والسلاح .[6]

---

[1]– د. حسن محمود: قيام دولة المرابطين ص 120؛ السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب الكبير ج2 ص 993؛ : **Marcais La Berberie Musulmane P.239** ؛ ابراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ ص 170 ج11.

[2]– F.DELA Chapelle: Esquisse d'une Histoire du sahara occidental P.62

[3]– Gruvel & Chudeau: A Travers la Mauritanie occidentale P.124 – 125

[4]– ابن أبي زرع: الأنيس المطرب ص 120

[5]– د. محمد عبد الهادي شعيرة: المرابطون ص 39.

[6]– ابن ابي زرع: الأنيس المطرب ص 120.

وكانت العبادة في الرباط من أهم ركائزه ومن أهمها شهود الجماعة في الصلوات الخمس وقد وضعت عقوبات لمن خالف ذلك فمن فاتته ركعة ضرب خمسا ومن تخلف عن الصلاة ضرب عشرين هذا مع مطالبة من تركها في الماضي بأداء ما فاته. وقد ألزم عبد الله بن ياسين أهل الرباط بالإحترام الكامل المسجد الرباط ومحاسبة من يتكلم في أمور الدنيا فيه وحملهم على الخشوع لله في بيته فمن رفع صوته في المسجد ضرب على قدر ما يراه الضارب له صلاحا[1] [2]. وكان دور ابن ياسين الأساسي هو تعليم أهل الرباط فكان يقوم بهذه المهمة بنفسه يعلمهم الكتاب والسنة، والوضوء والصلاة والزكاة ومافرض الله عليهم من ذلك[3] ولم يقصر عبد الله بن ياسين نشاطه الدعوي ومهمة التبليغ على أهل الرباط بل كان يبعث بعوثا إلى القبائل لترغيب الناس في مذهب أهل الرباط. ولم يكن الإنضمام إلى الرباط[4] والقبول فيه بالأمر الميسور فقد وضعت شروط لذلك. فالراغب في الإنضمام يمتحن ويخضع لفترة مراقبة للتأكد من إستعداده لقبول نظام الرباط فإذا توفر فيه الإستعداد قبل عضوة، في جماعة الرباط.

ويظهر من صرامة الشروط أن عبد الله بن ياسين كان يريد أن يميز الخبيث من الطيب فلا يبقي معه إلا من اتصف بالعزم والصبر والجد وقبل السير على درب الحق مع تحمل تبعات

[1]– البكري: المسالك ج2 ص 894؛ د. حسن محمود: قيام دولة المرابطين ص 192.

[2]– يبدو من هذه العقوبات حرص الإمام عبد الله بن ياسين على تعويد أتباعه على شهود الجماعة لما في ترك شهودها من وعيد إلى الحد الذي أعتبر فيه الظاهرية صلاة المنفرد باطلة فيما أعتبر الإمام أحمد وأبو ثور صلاة الجماعة واجبة إلا أنهم اعتبروا صلاة المنفرد صحيحة مع الحرمة. (ابن قدامة: المغني ج2 ص 179) ولعل تعليل القاضي عياض لفعل ابن ياسين ، الذي هو من باب التعزير ، قريب من الصواب حيث قال: "وكان أخذ جميعهم بصلاة الجماعة ، إذ كانوا عنده ممن لا تصح له صلاة إلا مأموما لجهلهم بالقرآة وأحكام الصلاة" (ترتيب المدارك ج8 ص 82) وقد نص علماء المالكية على أن من لا يحسن الفاتحة وجب عليه الإقتداء (الدردير: الشرح الصغير ج 1 ص 309) وأما أمره أتباعه بقضاء ما فاتهم من الصلوات في الماضي فهو مذهب مالك المصدر السابق ج1 ص 364).

[3]– ابن أبي زرع: روض القرطاس ص 120.

[4]– نفس المصدر ونفس الصفحة ؛ د. حسن محمود: قيام دولة المرابطين ص 192.

ذلك فالإنضمام إلى الرباط ليس لعبا ولهوا بل سلوك الطريق الجنة الذي حف بالمكاره.

وقد ذكر البكري[1] أن عبد الله بن ياسين كان يقيم الحد على المنتسبين الجدد إلى رباطه عما ارتكبوه من الذنوب قبل دخول الرباط وقد شنع البكري ومن نقل ذلك عنه على الإمام عبد الله بن ياسين ورموه بالجهل والشذوذ في الأحكام، ولا شك أن هذا النوع من الروايات إنما هو من تزيدات الرواة وتشنيع الخصوم. ومع ذلك فإن العلماء إنتماءاتهم القبلية وهي إنتماءات طالما فرقت بينهم. أما اليوم فتجمعهم العقيدة والسلوك والولاء لله ولرسوله وللمؤمنين. إن المرحلة الجديدة التي يراد منهم تنفيذها هي مرحلة الجهاد باللسان والسنان.

مرحلة الخروج من الرباط :

لما اطمأن عبد الله بن ياسين إلى طاعة أتباعه وولائهم المطلق له ولمبادئه أمر هؤلاء المرابطين أن يخرجوا على بركه الله لينذروا قومهم ويخوفوهم عقاب الله ويبلغوهم حجته "فإن تابوا ورجعوا إلى الحق فخلوا سبيلهم، وإن أبوا من ذلك وتمادوا في غيهم ولجوا في طغيانهم استعنا بالله تعالى عليهم وجاهدناهم حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين.[2]

سار كل رجل منهم إلى قومه وعشيرته فوعظهم وأنذرهم ودعاهم إلى الإقلاع عما هم بسبيله من التقاليد المنافية للدين، فلم يصغ لهم أحد من أقوامهم.[3]

خرج عبد الله نفسه إلى أشياخ القبائل ورؤسائهم فجمعهم وحذرهم وأقام عليهم الحجة. وكان هذا اللقاء الجديد بينه وبينهم بعد القطيعة السابقة، إبلاغة في النصح وقطعة للعذر. وأقام عبد الله سبعة أيام يدعوهم إلى التوبة والإنابة.

---

[1]– البكري: المسالك والممالك ج2 ص 864.

[2] – ابن أبي زرع: الأنيس المطرب ص 129.

[3]– ابن ابي زرع: الأنيس المطرب ص 120.

لم يجد عبد الله رغم ذلك إلا الصدود والنفور فقلوب القوم أشربت الجهل فلم تعد تقبل النصح، عندئذ قال لأصحابه : قد أبلغنا في الأعذار للقوم وقد وجب علينا جهادهم فاغزوهم على بركة الله.[1]

بدأ المرابطون بقبيلة جداله فغزوهم في ثلاثة آلاف فقتل منهم خلقا كثيرة واسلم الباقون إسلامة صحيحة وأدوا جميع مافرض الله عليهم وذلك في سنة 434هـ.[2]

ثم سار عبد الله بن ياسين إلى المتونة فنزل بهم وقاتلهم حتى ظهر عليهم وأذعنوا إلى الطاعة والتوبة. وبايعوه على إقامة الكتاب والسنة.

ثم سار إلى مسوفة فقاتلهم حتى أذعنوا له وبايعوه على ما بايعته عليه المتونة وجدالة. فلما رأى ذلك باقي قبائل صنهاجة سارعوا إلى التوبة وأقروا له بالسمع والطاعة، فقبل منهم [3]. وجعل هو وصحبه يعلمونهم القرآن وشرائع الإسلام ويأمرونهم بالصلاة والزكاة وإخراج العشر. كان إخضاع قبائل صنهاجة نصرة كبيرة لعبد الله بن ياسين وتلاميذه المرابطين، فقد أضحوا اليوم هم أصحاب الكلمة العليا في الصحراء يقودون كما هائلا من الناس ويوجهونهم داخل إطار وحلف جديد، فقد كانت الأحلاف السابقة تقوم على أسس مادية صرفة، من دفع خطر مشترك أو الإحتفاظ بالتجارة عبر الطرق الصحراوية، أما حلف اليوم فقد أقيم على أسس تختلف عن هذه تماما، أقيم على رباط من الدين لبسط العدل والإخاء وإخراج الناس من الظلمات إلى النور.

استدعى هذا الواقع الجديد من عبد الله بن ياسين أن ينشىء جهازا يدير أمور هذا المجتمع

[1]– ابن أبي زرع: الأنيس الطرب ص 129؛ ابراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ ج 1 ص 170

[2]– ابن أبي زرع: الأنيس المطرب ص 129؛ Ki – zerbo: Histoire de L'Afrique Noire P.115

[3]– ابن أبي زرع: الأنيس المطرب ص 129؛ البكري: المسالك ج2 ص 890.

الجديد، فإختار عبد الله أمير المتونة يحي بن عمر[1] ليكون أمير المرابطين وأطلق عليه لقب أمير الحق[2]، وكان إختصاصه أساسا في النظر في شؤون الجهاد واقتصر عبد الله على النظر في أمر الدين وأحكام الشرع وأخذ الزكاة والأعشار.[3]

ضرب عبد الله بن ياسين باختياره ليحي بن عمر أميرة للمرابطين مثلا عظيما من أمثلة الزهد في المناصب والمصلحة الشخصية وبرهن أنه لم يكن من السعاة إلى الملك والمجد وإنما كان مبتغي إصلاح وناشر دين. ولخص عبد الله للمرابطين دوره في هذا المجتمع الجديد بقوله : إنما أنا معلم دينكم[4] . وهذه المنزلة التي اختارها عبد الله كانت بلاشك منزلة عظيمة في مجتمع المرابطين الجديد. وإضافة إلى تعيين أمير للجماعة، فقد إتخذ بيت مال يجمع فيه الزكاة والعشر وينفق منه على الجيوش المعدة للجهاد وشراء السلاح.[5]

انتهى عبد الله بن ياسين من تنظيم مجتمعه الجديد ليبدأ في توجيهه إلى ميادين الجهاد في المنطقة المحيطة بالملثمين. ففي الجنوب تقوم مملكة غانة السونوكية[6] الوثنية وكان على المرابطين أن يواصلوا دور الفاتحين الأولين في سبيل نشر الإسلام بين قبائل بلاد السودان الغربي.

---

[1]– يحي بن عمر بن تكلاكين اللمتوني (ت 447هـ) أمير لمتوني كان من أوائل من انضم إلى عبد الله بن ياسين وكان من أهل الدين المتين وكان شديد الإنقياد لعبد الله كثير الطاعة له فيما يأمره وينهاه (ابن أبي زرع: الأنيس المطرب ص ١٢٧؛ البكري: المسالك ج2 ص 891؛ ابن عذاري: البيان المغرب ج4 ص 12).

[2]– ابن عذاري: البيان المعرب ج4 ص12.

[3]– الحلل الموشية: ص 21؛ د. حسن محمود: قيام دولة المرابطين ص 148.

[4]– الحلل الموشية: ص 21؛ عبد الله كنون: عبد الله بن ياسين ص 18.

[5]– ابن ابي زرع: الأنيس الطرب ص 126.

[6]– السونو كي: شعب من شعوب السودان الغربي كانوا يعيشون في الحافة الجنوبية للصحراء وقد أقاموا أقوى امبراطوريات السودان الغربي وهي امبراطورية غانة (ابراهيم طرخان: امبراطورية غانة الإسلامية ص 18 ؛ **ki – Zerbo: Histoire de** L'Afrique P.107.

كانت مدينة أودعست أهم المدن التابعة لمملكة غانة والقريبة من بلاد المرابطين وكانت فيما مضى تحت سيطرة صنهاجة لكن مملكة غانة احتلتها[1] . لذا قرر عبد الله بن ياسين جهاد مملكة غانة وكلف الأمير يحي بن عمر بدخولها غازية. وقد قام يحي بعدة حملات تكللت بالنجاح وكان النصر فيها حليف المرابطين. وكان من نتائجها إحتلال مدينة أوغست سنة 446هـ وطرد الغانيين منها.[2]

ويظهر أن المرابطين اكتفوا إلى حين بهذا النصر على مملكة غانة فقد عاد يحي بن عمر إلى ديار الملثمين حيث كانت تنتظره مهمات جديدة. – الجهاد في المغرب الأقصى

شاع في بلاد المغرب الأقصى خروج المرابطين بالصحراء وأن "دعوتهم مبنية على دين متين وتأسيس بفقه وأنه إسلام جديد، فحدقت إليهم العيون وصرفت إليهم الوجوه .[3]

وكان المغرب الأقصى في هذا العهد يخضع لحكم زناتة وتتولى السلطة فيه قبيلتان منها هما مغراوة وبنويفرن[4]، وكان الصراع بينهما على أشده، فانعدم الإستقرار وانعدم الأمن وتضررت الرعية من سوء الحكم وإنتشار الفساد والسياسة الضرائبية المجحفة وفوق ذلك إنتشار البدع والمخالفات.[5]

تعلقت إذن آمال أهل المغرب الأقصى بالمرابطين وإمامهم عبد الله بن ياسين لإنقاذهم مما هم فيه ولإصلاح أحوالهم.

---

[1]– البكري: المسالك ج2 ص 862.

[2]– البكري: المسالك ج2 ص 862؛ J.Cuoq: Histoire de l'Islamication de L'oust P.

[3]– ابن الخطيب: أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام ص 243.

[4]– بنويفرن: قبيلة من زناتة كان لهم نفوذ في المغرب خلال القرن 4 و هه (الأنيس المطرب بروض القرطاس ص 102.

[5]– ابن أبي زرع: الأنيس المطرب ص 113؛ أحمد العبادي: في تاريخ المغرب والأندلس ص 297.

فبدأت الرسائل تترى على عبد الله بن ياسين شاكية وضع المغرب ومستغيثة به. وبدأ عبد الله يفكر جديا في الانسياح شمالا. ليبدأ بذلك فتح صفحة جديدة من تاريخ المغرب بإنشاء إمبراطورية عظمى قائمة على الجهاد. وهو مالم تعهده ربوع المغرب الأقصى[1]. لكن هل كان إهتمام عبد الله بن ياسين بالمغرب الأقصى وجهاده فيه الأسباب ودوافع غير الدافع الديني؟

لقد تعرضت دولة المرابطين لكثير من الحقد والتحامل والطعن فألصقت بها شتى العيوب ورميت بكل شنيعة وطمست فضائلها وأهمها أنها دولة قامت على الدين وبنيت على الجهاد. لذا انبرى هؤلاء المتحاملون[2] إلى سوق شتى الحجج والبراهين لإثبات أن دخول المرابطين إلى المغرب وفتحهم له إنما كان عملا بربرية مما يقوم به عادة البدو على مراكز الحضارة فيخربونها ويحيلونها أثرا بعد عين.

ويحلو لهؤلاء أن يشبهوا المرابطين بالهلاليين وما قاموا به من نهب وسلب في افريقية.[3]

الأمير أبو بكر بن عمر ومواصلة جهود عبد الله بن ياسين :

لقد حرص عبد الله بن ياسين بعد أن جرح في المعركة مع البرغواطيين أن يندب المرابطين إلى تجديد البيعة لأبي بكر بن عمر المتوني وأن تضاف إليه بعض المهام التي كان يقوم بها عبد الله بن ياسين مثل تقسيم الفيء وأخذ الزكوات والأعشار[4] وقد قبل أشياخ المرابطين تقديم أبي بكر عليهم وأجمعوا على ذلك.[5]

[1]– عبد الله العروي: محمل تاريخ المغرب ج2 ص 118.

[2]– لعل أشهر هؤلاء الحاقدين على الدولة المرابطية: البيدق صاحب كتاب أخبار المهدي بن تومرت ، عبد الواحد المراكشي في كتابه المعجب في تلخيص أخبار المغرب ص 290 ومن المستشرقين راينهارت دوزي في كتابه الإسلام الأسباني وأرشيبالد لويس في كتابه: القرى البحرية في حوض البحر المتوسط

[3]– ارشيبالد لويس: القوى البحرية في حوض البحر المتوسط ض 392.

[4]– ابن أبي زرع: روض القرطاس ص 132 ، عبد الله كنون: مرجع سابق ص 29.

[5]– ابن أبي زرع: المصدر السابق ص 132.

كما اتفقوا على تقديم الفقيه سليمان بن عذراء[1] ليرجعوا إليه في مشاكلهم الدينية [2].

ماكاد أبو بكر بن عمر ينتهي من دفن عبد الله بن ياسين بكريفلة[3] حتى عبأ قواته واستأنف عمل شيخه في جهاد برغواطة، وقد تمكن الأمير أبو بكر من إستئصال شأفتهم وتمزيق شملهم فأذعنوا له بالطاعة واعتنقوا الدين الحق فلم يبق لنحلتهم أثر.[4]

ويبدو أن هذه المعارك كانت من الشراسة بحيث دامت أشهر عدة، واستشهد فيها شيخ المرابطين الجديد الفقيه سليمان بن عذراء سنة 452هـ[5]. ويبدو أن المرابطين لم يعينوا أحدا لخلافته[6] . ربما لإنتشار العلم بين المرابطين فظهر منهم علماء كبار من أمثال لمتاد بن بلين اللمتوني وأبي القاسم بن عذراء[7] . كما أن المناط ق التي دخلها.

الأمير أبو بكر بن عمر والجهاد في السودان الغربي

عهد الأمير أبو بكر بأمر المغرب إلى يوسف بن تاشفين ثم ارتحل ميمماً أرض الملثمين بموريتانيا لمواصلة جهاد المشركين من أهل السودان الغربي. كان يحكم بلاد السودان الغربي في ذلك الوقت مملكة غانة التي تعتبر أقدم دولة في غرب افريقيا. وقد رجح المؤرخون أن تاريخ

---

[1]– سليمان بن عذراء الجزولي (ت 452هـ): أحد رفاق عبد الله بن ياسين وأبناء عمومته وأحد تلاميذ شيخه وجاج بن زللو اللمطي (عياض: ترتيب المدارك ج8 ص 80؛ ابن خلدون: العبر ج6 ص 183 وقد سماه ابن خلدون سليمان بن عدو) هذا ولم تذكر المصادر هل كان تعيين سليمان بأمر من عبد الله بن ياسين أم لا؟.

[2]– ابن خلدون: المصدر السابق من نفس الصفحة.

[3]– كريفلة: موضع قريب من مدينة الرباط الحالية. A. BENACHENHOU: Sidi ABDALLAH Mou – 1 – gara ou ABDALLA ibn Yassin , Hesperis

[4]– ابن أبي زرع: مصدر سابق ص 133 ؛ مجهول: بيوتات فاس الكبرى ص 29.

[5]– ابن خلدون: مصدر سابق ص 183؛ عياض: مصدر سابق ص ٠80

[6]– تذكر د. عصمت دندش (دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب افريقيا ص 97) أن المرابطين اختاروا أبو القاسم بن عذراء ليخلف أخاه الشيخ سليمان ونسبت ذلك القاضي عياض في المدارك ولكن بالرجوع إلى النص المذكور نجد أنه لا يذكر هذه المعلومة بل اقتصر على وصف أبي القاسم بأنه أخو سليمان القائم بأمر المرابطين بعد عبدالله بن ياسين (عياض: المدارك ج8 ص80).

[7]– أبو القاسم بن عذراء الجزولي: فقيه ، أخو سليمان بن عذراء وأحد تلاميذ وجاج بن زولو اللمطي شيخ عبد الله بين ياسين عياض: المدارك ج8 ص 80).

نشأتها يرجع إلى القرن الرابع الميلادي.[1]

وأضحت هذه المملكة في القرن العاشر الميلادي امبراطورية عظمى. وقد وصف ابن حوقل الذي زار اودغست سنة 340هـ وصف ملوك غانة في ذلك الوقت بقوله : "وملوكها أيسر من على وجه الأرض بما لديهم من الأموال المدخرة من التبر.[2]

وكانت عاصمة هذه الدولة من أعظم مدن السودان الغربي في تلك القرون. وقد امتد نفوذ هذه المملكة ما بين نهر السنغال ونهر النيجر وجزء من الصحراء الموريتانية. وكان لموقعها على الطريق التجاري الذي يصل الشمال الإفريقي بمصادر الذهب في الجنوب أثر في ثرائها وقوتها. لقد كان إتصال الإسلام بهذه المملكة قديمة عن طريق التجار والمراكز التجارية الإسلامية التي كان يردها أهل غانة. وقد كان للأسلام وأهله مكانة وإحترام كبير لدى ملوك غانة فسكنت جالية كبيرة من المسلمين عاصمة غانة وكان لهم بها مساجد وفيها فقهاء وحملة علم.[3]

لقد غرس هؤلاء الدعاة البذور الأولى للإسلام في السودان الغربي.

وإلى جانب مملكة غانة كانت هناك دول أخرى مثل دولة التكرور في حوض السنغال التي أسلم ملكها وارجابي بن رابيس في مطلع القرن الخامس الهجري على يد هؤلاء الدعاة التجار وقد أقام وارجابي (ت 432هـ) شرائع الإسلام وحمل رعاياه عليها.

---

[1]– ابراهيم طرخان: امبراطورية غانة الإسلامية ص 22 J.Ki – Zerbo: Histoire de L'Afrique Noire P.107

[2]– ابن حوقل: صورة الأرض ص 98.

[3]– لقد اختلف المؤرخون حول موضع عاصمة غانة واسمها وأقرب الإحتمالات أن موقع عاصمة غانة هو المكان المسمى اليوم كومبى صالح والواقع في المنطقة الشرقية من موريتانيا إلى الجنوب من مدينة تنبدغة وقد أخطأ إبراهيم طرخان (امبراطورية غانة ص ٣٣) عندما جعلها في دولة مالي الحالية. وقد ذهب عدد من المؤرخين:

– Delafosse, M.; Ghana & Mali et l'EMPLACEMENT de leurs capitales B.C.E.H.S. 1924 P.379. – Desire – Vuiliemen: Les Capitales de l'oust African villes mortes at capitales de Jadis. – J.Ki – ZERBO: Histoire de L'Afrique Norire P.111.

إلى أن عاصمة غانة تحمل نفس الاسم الذي أطلق على الإمبراطورية.

الفصل الثاني

أثر العلماء في الإتجاه الفكري للدولة

لكي تقوم الدول والمجتمعات وتتوطد، لابد لها من مذهب يسوسها ويحكم تصرفات أفرادها في ما بينهم، وفي ما بينهم وبين حكامهم ليحول دون جنوح الحكام إلى الظلم والفساد. وذلك حتى تصل إلى أهدافها وغاياتها. ولما كانت دولة المرابطين تهدف لتحقيق شرع الله اختار مؤسسوها وهم من العلماء، مذهبا فقهيا وعقائدية لترتكز عليه دولتهم، سعيا منهم لتحقيق هدفهم. .

1- المذهب الفقهي للمرابطين

في مطلع القرن الخامس الهجري كان المغرب الأقصى يعج بالمذاهب والنحل، كما أشرنا إلى ذلك سالفة. فهناك مذهب الشيعة والخوارج والنحل الضالة. وإلى جانب ذلك مذهب مالك في بعض الحواضر والرباطات العلمية مثل رباط الفقيه وجاج بن زولو اللمطي في السوس الأقصى الذي تتلمذ على شيوخ المالكية في القيروان .[1]

على أن الإضطرابات السياسية في عهد الزناتيين (1348- 462هـ) لم تمكن من ظهور علماء كثيرين في المغرب الأقصى، كما أنها أدت إلى رحيل من وجد من العلماء.

فقد أضطر الفقيه أبو عمران الفاسي (ت 430هـ) إلى النزوح عن وطنه فاس بسبب العنت الذي لقيه على يد عمال مغراوة الزناتيين.[2]

لقد كان من نتائج حال المغرب الأقصى تلك أن تأخر بالنسبة لجيرانه في ولوج ميدان العلم، لذا فعندما هب للحاق بالركب وجد العلم قد مر بأطوار ونضج وأكتسب كثيرة من الوثوقية الشيء الذي لم يبق معه إمكان لمراجعة الأصول والمسلمات.

[1]- ابن أبي زرع: روض القرطاس ص 122؛ مجهول: الحلل الموشية ص ٢٠؛ ابن الزيات: التشوف ص 189.

[2] - مجهول: بيوتات فاس الكبرى ص 44 - 45. .

فكان على أهل المغرب الأقصى أن يأخذوا البضاعة العلمية جاهزة وقد اعتورتها أيدي العلماء من أصقاع مختلفة.[1]

إن الإختيار بين تلك البضاعة الفقهية هو الدور الذي قام به العلماء المؤسسون للدولة المرابطية. فوقع اختيارهم على المذهب المالكي ليكون المذهب الفقهي للدولة.

إن مؤسسي الدولة المرابطية هم في المقام الأول علماء درسوا العلم في القيروان وقرطبة[2]، فنهلوا من العلوم التي كانت سائدة فيها.

كانت تلك الحواضر في مطلع القرن الخامس الهجري قلاعا من قلاع المالكية منذ أمد، فكان من الطبيعي أن يتخرج أمثال : أبو عمران الفاسي ووجاج وعبد الله بن ياسين مشبعين بالفقه المالكي.

إن الأسباب التي دعت أهل القيروان والأندلس إلى إتخاذ المذهب المالكي هي في مجملها نفس الأسباب التي حملت أهل المغرب الأقصى ممثلين في المرابطين إلى إتخاذ المذهب المالكي والتمسك به. ومن هذه الأسباب:

– أن إنتماء مالك للمدينة المنورة : مركز الإسلام وعاصمة الرسول عليه الصلاة والسلام والراشدين من بعده، جعل المغاربة ينظرون إليه من زاوية خاصة. فأعجبوا بعلمه وفضله

واقتنعوا أنه أقرب إلى حقيقة الشريعة من فقهاء العراق والشام أو غيرهم.

– للأثر الوارد في عالم المدينة وهو قوله عليه الصلاة والسلام: يوشك أن يضرب الناس أكباد

[1]– عبد الله كنون: النبوغ المغربي ص 52 ؛ عبد الله التواتي: الثقافة المغربية قبل عهد المرابطين ، مجلة الثقافة ، العدد رقم 7 ص 121.

[2]– لقد كانت للإمام عبد الله بن ياسين رحلة علمية إلى قرطبة (ابن عذاري: البيان المغرب ج4 ص 10) ولم تذكر المصادر تاريخ تلك الرحلة بل اكتفى ابن عذاري بالقول أنها في عهد أمراء الطوائف مما يعني أنها في مطلع القرن الخامس.

الإبل في طلب العلم فلا يجدون أعلم من عالم المدينة.[1]

المرابطي نبغوا في كل علوم الإسلام وصاروا أئمة في كثير من ميادينها فلم يتعصبوا للفقه المالكي على حساب العلوم الأخرى.

2- مذهب العلماء في الحكم في عهد المرابطين

. لقد سعى العلماء في العهد المرابطي إلى جعل الدولة ذات منطلق ومرتكز ديني. لقد كان للعلماء من أمثال الإمام عبد الله بن ياسين والإمام محمد بن الحسن الحضرمي[2] رؤية خاصة لهوية الدولة التي يسعون إلى تحقيقها من خلال مباديء الإسلام ومعطيات الواقع. لقد كان الهدف والمبدأ هو وحدة ديار الإسلام تحت لواء قيادة الخلافة العباسية وكان الواقع هو إستحالة هذه الوحدة الشاملة في الظرف الحالي. ولتجاوز هذا الإشكال أعطي هؤلاء العلماء لدولتهم هدفا وهوية يتمثل في الجهاد بمعناه الشامل من مدافعة للعدو إلى إقامة الحق الذي يعين ويهيء سبل تلك المدافعة. وقد عرف علماء الأحكام السلطانية مثل الفراء[3] هذا النوع من الدول القائم على الجهاد والمعترف بسيادة الخلافة بأنه "إمارة يفوض الأمير جميع أحكامها، ويتم التأكيد على تدبير الحرب

[1]- الإمام أحمد بن حنبل: المسند ج3 ، الطبعة الأولى 1999م، نشر المكتب الإسلامي للطباعة والنشر ودار صادر للطباعة والنشر ، بيروت ص 299 ، الترمذي: الجامع الصحيح (مع شرح تحفة الأحوذي للمباركفوري) ج3، د.ت. نشر دار الكتاب العربي بيروت ص 380 ، الحافظ النيسابوري: المستدرك على الصحيحين جا ، الطبعة الأولى 1998، الناشر مكتبة ومطابع النصر الحديثة الرياض ص 90 - 91؛ عياض: المدارك ج 1 ص 98 - 99.

[2] - محمد بن الحسن المرادي الحضرمي (ت489هـ): فقيه ، أصولي ، متكلم (ابن بشكوال: الصلة ج1 ص 547.

[3] - محمد بن الحسين أبو يعلى الفراء (ت458هـ) عالم أصولي له تصانيف كثيرة منها الأحكام السلطانية (ابن أبي يعلى: طبقات الحنابلة ج 2 ص 193.

كأحد أهم أحكامها" [1]. فالعلماء إذا أرادوا أن يجعلوا من دولتهم المرابطية نسقة سياسية فرعية تابعة لدولة الخلافة[2] . ولقد حصل أمراء المرابطين على التفويض من طرف الخلفاء العباسيين[3] . وكدليل على هذه التبعية نقش الأمراء المرابطون إسم الخليفة العباسي على سكتهم واكتفوا بلقب أمير المسلمين.[4]

هكذا يغدو العلماء دعاة لوحدة الأمة في إطار دولة الخلافة من خلال إعتبارها نسقا سياسية مركزية تدور في فلكه مجموعة الأنساق الفرعية أيا كان شكلها .[5]

إن هذه الدولة المجاهدة يراد لها أن تسعى إلى إقامة العدل الشامل في علاقة الحاكم والمحكومين إمتثالا لقوله تعالى " إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي.....[6]

"إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمنت إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل... [7]

وقيمة العدل هي أساس القيم وقطب رحى التعامل والعلاقات بين البشر. لذا فقد سعى العلماء في دولة المرابطين إلى تحقيق العدل عن طريق نظم ثلاثة هي:

---

[1]– أبو يعلى الفراء: الأحكام السلطانية ، تحقيق محمد فقي ، الطبعة الثانية ص 39 طبع شركة الحلي 1966.

[2] – ضريف محمد: تاريخ الفكر السياسي بالمغرب ص 98.

[3] – إبراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ ص 189.

[4] – مجهول الحلل الموشية: ص 50؛ ابن خلدون: العبر ج6 ص 188.

[5]– ضريف محمد: نفس المرجع السابق ص 98.

[6]– سورة النحل: الآية 90.

[7]– سورة النساء: الآية 58.

أ- نظام البيعة:

كانت تقام بيعة خاصة يبايع فيها أفراد الأسرة الحاكمة الأمير المرشح ثم يبايعه سادة لمتونة ثم سادة القبائل الأخرى، حتى إذا اكتملت أسباب هذه البيعة تلي عقد البيعة في المساجد وقرىء على الناس [1]. ونظام البيعة من صميم أنظمة الحكم في الإسلام وأحد ركائزه. فهو نوع من البيع يبذل فيه الرعية السمع والطاعة لولي الأمز مقابل الرعاية وتطبيق العدل بمقتضى الشرع من طرف الحاكم. .

ب- أما النظام الثاني فهو نظام الشورى:

الشورى مبدأ عظيم من مباديء النظام الإسلامي في الحكم. يقول تعالى، مخاطبة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، وشاورهم في الأمر " [2] والشورى من خصائص المجتمع المؤمن الصالح يقول تعالى: "والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلوة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون"[3] وقد جعل الإمام الطرطوشي الشورى أساس من أهم أسس الحكم فقال : " سياسة الملك ثلاثة : اللين وترك الفظاظة والمشاورة....[4]

ولقد سن العلماء القائمون على الدولة المرابطية العمل بالشورى فكانوا لا يقطعون أمرا ذا بال إلا بعد أن يستشيروا جماعة الحل والعقد من المرابطين. فالإمام عبد الله بن ياسين كان كثير المشورة لأصحابه، رغم أنهم سامعون طائعون له، ومن الأمثلة على ذلك أنه لما وردت على عبد

[1]- حسن محمود: قيام دولة المرابطين ص 342؛ يوسف اسباخ: تاريخ الأندلس في عهد المرابطين ص 112.

[2]- سورة آل عمران: الآية 159.

[3]- سورة الشورى: الآية 38.

[4]- سراج الملوك: ص 50.

الله بن ياسين رسل فقهاء سجلماسة ودرعة سنة 447هـ يستنجدون به ويرغبون إليه الوصول إليهم لإزالة ما حل بهم من ظلم وجور، قام عبد الله بن ياسين بجمع رؤساء المرابطين وقرأ عليهم كتب الإستغاثة وشاورهم في الأمر .[1]

وقد سلك أمراء المرابطين منهج الشورى متأثرين في ذلك بالمنهج الذي رسمه لهم علماؤهم. وقد تكون في العهد المرابطي شبه مجلس الشورى يتكون أساسا من العلماء يستعين أمير المسلمين برأيهم في المهم من أمره لهذا كان يوسف بن تاشفين : "يفضل الفقهاء ويعظم العلماء ويصرف الأمور إليهم ويأخذ فيها برأيهم...[2] .

ج- أما النظام الثالث فهو نظام القضاء:

لقد أولى العلماء في العهد المرابطي القضاء من الرعاية ما يستحق. فحرصوا على إستقلاله وهيبته وسعوا لإقامة الحق مهما كلفهم ذلك. فارتفع قدر القضاء لما تولاه علماء أعلام من أمثال الإمام أبي الوليد محمد بن رشد (ت 520هـ الذي تقلد القضاء بقرطبة فسار فيه بأحسن سيرة وأقوم طريقة[3]، وأبي علي الصدفي (ت 14هه

الذي تولى قضاء مرسية "فسار فيه سيرة فضحت من كان قبله وأتعبت من جاء بعده [4] والقاضي أبي بكر بن العربي (ت543 وهم الذي كان من أهل الشدة في الحق والقوة على الظالمين والرفق بالمساكين، ولم يكن طريق الحق والإستقامة سهلا. فقد لقي القاضي ابن العربي من الأذى

[1]- ابن أبي زرع: الأنيس المطرب ص 127.

[2]- الحلل الموشية: ص 82 .

[3]- ابن بشكوال: الصلة ج2 ص 546 ؛ الضبي: بغية الملتمس ص 40 ؛ النباهي: المرقبة العليا ص 98.

[4]- عياض: المدارك ج8 ص 193؛ ابن عطية: الفهرس ص 74؛ ابن بشكوال: الصلة ج 1 ص 143.

الكثير فذكر أنه لما أشتد الخطب على أهل الغصب وعظم على الفسقة الكرب تألبوا وألبوا وثاروا"[1] . فأحرقت مكتبته ونجا هو بصعوبة[2] .

لقد منح المرابطون القضاة في دولتهم سلطات واسعة لا حدود لها. فالجميع أمام القاضي سواء، وتشدد المرابطون في ذلك، فكان يتكرر هذا الأمر في رسائلهم، والتي تؤكد على الجميع بأن يخضع لحكم القاضي. ونرى هذا واضحا في الرسالة التي وجهها الأمير علي بن يوسف إلى قاضي الجماعة بقرطبة أبي عبد الله بن حمدين إذ يقول له فيها: ".... وقد عهدنا إلى جماعة المرابطين أن يسلموا لك في كل حق تمضية، ونحن أول وكلهم آخر، سامعون منك غير معترضين في حق عليك . والعمال كافة سواء في الحق....[3] لقد تضافرت النظم السالفة فتحققت بها العدالة والأمن العام الذي اطمأنت به النفوس وتهيأت الظروف للرخاء فانفسح الأمل"[4]

لم يكن المذهب المرابطي في الحكم مذهبا ظرفية، بل كان قاعدة ثابتة. لهذا نجد علماء المرابطين يحسون بعد وفاة الإمام عبدالله بن ياسين، أن ما رسخه في الأذهان من مباديء قد يندثر وينسى بعد وفاة الجيل الأول من أهل الدولة. ونتيجة لذلك فقد ألفوا في سياسة الحكم ليسير عليها الكبير وينشأ عليها الصغير.[5]

---

[1]– العواصم: تحقيق د. عمار طالي ج 2 ص 400.

[2]– نفس المصدر والصفحة.

[3]– ابن بسام: الذخيرة القسم 2 ص 106.

[4]– يرى الماوردي أن أهداف السلطة هي: تحقيق العدل الشامل بين بني البشر ، فالعدل موحد ومؤلف ثم الأمن العام الذي تطمئن إليه النفوس ثم الخصب الدار الذي على السلطة أن تهيء أسبابه ليستمر الأمن ولينفتح باب الأمل. (أدب الدنيا والدين ص 136).

[5]– سامي النشار: مقدمة كتاب السياسة للمرادي ص 32.

3- مذهب العلماء المرابطين العقائدي وموقفهم من التصوف

أ- **مذهبهم العقائدي:** لقد إتسم القرن الخامس الهجري بإشتداد الصراع الفكري بين أهل الحق والباطل وكان من ميادين الصراع الفكري في هذا القرن علم الكلام الذي هو علم أصول العقائد مثل القضايا المتعلقة بذات الله وصفاته وأفعال العباد هل هي إختيارية أم لا؟ وصاحب الكبيرة هل هو من أهل النار أم لا؟ وغيرها.[1]

ظهر في المشرق في هذا القرن أعلام كبار من أعلام علم الكلام من أمثال القاضي أبي بكر الباقلاني[2] والقاضي عبد الجبار[3] المعتزلي صاحب كتاب "المغني في التوحيد والعدل[4] وكتاب "فضل الإعتزال وطبقات المعتزلة" وأبي اسحاق الأسفرايني[5] والإمام الغزالي.[6]

---

[1]- ابن خلدون: المقدمة ج 2 ص 147.

[2]- القاضي أبو بكر محمد بن الطيب المعروف بالباقلاني (ت 403هـ) متكلم مشهور على مذهب أبي الحسن الأشعري ، كان يلقب بشيخ السنة ولسان الأمة". مالكي المذهب. قال عنه ابن خلكان "كان في علم الإعتقاد أوحد زمانه .... ، وكان موصوفة بجودة الإستنباط وسرعة الجواب" وكانت له بجامع المنصور ببغداد حلقة عظيمة. (ابن خلكان: وفيات الأعيان ج4 ص 299؛ ابن فرحون: الديباج المذهب ج 2 ص8 .

[3]- القاضي أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد (ت 415هـ) قاضي قضاة الدولة البويهية وأحد أعلام المعتزلة وإمامهم في عصره ومن أغزر المعتزلة إنتاجا. وهو الذي وضع قواعد فكر المعتزلة وأصله (الزر كلي: الأعلام ج4 ص 47 ؛ عبد الكريم عثمان: قاضي القضاة عبد الجبار الهمداني ، دار العربية للطباعة والنشر بيروت 1967.

[4]- طبعت أجزاء عدة من كتاب المغني في القاهرة حقق بعضا منها ابراهيم مدكور بيومي وذلك سنة 1972 .

[5]- ابو اسحاق ابراهيم بن محمد الاسفراييني (ت418هـ) فقيه وأصولي شافعي. قيل أنه بلغ رتبة الإجتهاد وكان شيخ أهل خراسان في زمانه. أقام بالعراق مدة ثم عاد إلى اسفرايين فبني له بها مدرسة ولزمها ودرس فيها. وعنه أخذ الكلام والأصول عامة شيوخ نيسابور من تصانيفه "الجامع في أصول الدين" (ابن خلكان : وفيات الأعيان ج1 ص28.

[6]- محمد بن محمد الغزالي (500 هـ) فقيه أصول ، فيلسوف ، متصوف مشهور له نحو مائتي مصنف من أشهرها كتاب "إحياء علوم الدين" و "تهافت الفلاسفة" و"المنقذ من الضلال" (ترجمته في معظم كتب التراجم) منها (ابن خلكان: وفيات الأعيان ج4 ص216-219.

إن أهم ما ميز علم الكلام في القرن الخامس الهجري هو نفوذ الفلسفة إلى جميع مدارسه. فاستعملتها جميع أطراف المعارك الفكرية لتدعيم مواقفها مع تفاوت في درجة الأخذ[1]

د – موقف العلماء من التصوف في عهد المرابطين

تميز العهد المرابطي بنوعين من التصوف أحدهما هو التصوف السني القائم على إقتفاء أثر السلف الصالح في إمتثال أوامر الشرع وإجتناب نواهيه والإبتعاد عن الشبهات، وترك ما لا بأس به خشية الوقوع في ما به بأس. وقد مثل هذا الإتجاه ثلة من العلماء من أمثال الفقيه وجاج بن زلو الذي بنى مدرسة بنفيس يعلم الناس فيها العلم ويحضهم على الخير ويضرب لهم المثل الحسن بسلوكه[2]، وهو شيخ الإمام عبد الله بن ياسين الذي كان زاهدة في زخرف الدنيا متقل" من حلالها، صابرة على الحق.[3]

ولعل أشهر أهل هذا المنهج هو الفقيه المحدث الزاهد الإمام أبو علي حسين بن محمد الصدفي (ت14هه). لقد قضى الصدفي حياته بالعلم والتعليم والجهاد غير متشوف لعرض صابرة على ذلك إلى أن أستشهد بموقعة قتندة[4].[5]

لقد أثر هذا المنهج والسلوك في الكثير من طلبة العلم وشيوخه وغيرهم، فأمير المسلمين يوسف بن تاشفين كان متقشفة في مأكله ومشربه زاهدة في متاع الدنيا لباسه الصوف لم يلبس

[1]– عبد المجيد بدوي: التاريخ السياسي والفكري للمذهب السني في المشرق الإسلامي خلال ق هـ ص 45.

[2]– ابن الزيات: التشوف ص 189 .

[3]– ابن أبي زرع: روض القرطاس ص 124.

[4]– عياض: المدارك ج٨ ص 194.

[5]– قتندة: بلدة من اقليم سرقسطة في الثغر الأعلى (ياقوت الحموي: ج4 دار صادر بيروت ص 310.

قط غيره على حد عبارة ابن أبي زرع .[1]

وكذلك ابنه أمير المسلمين علي فقد كان كما وصفه عبد الواحد المراكشي" يعد في الزهاد والمتبتلين أقرب منه إلى أن يعد من الملوك والمتغلبين .[2]

إلى جانب هذا التيار الصوفي السني بدأت تتشكل ملامح تيار صوفي فلسفي. نشأ هذا التيار نتيجة التأثر بالتراث اليوناني كفلسفة أفلاطون وأرسطو التي ترجمت في المشرق ثم نقلت إلى الأندلس، بالإضافة إلى مؤلفات الفارابي وابن سينا وأخوان الصفا[3] ومصنفات كبار المتكلمين لاسيما المعتزلة"[4] ويمثل هذا الإتجاه كل من ابن العريف [5] صاحب كتاب "محاسن المجالس[6] الذي تحدث فيه عن المقامات الصوفية التي يمر بها السالك في طريقة الصوفية، ومنهم ابن برجان[7] وأبو القاسم بن قسي[8] الذي ضمن كتابه "خلع النعلين " آراءه في الفيض الوجودي ومراتب

[1]– روض القرطاس: ص 139 .

[2]– المعجب: ص 202.

[3]– اخوان الصفا: جماعة ذووا نزعة فلسفية ظهروا في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري وقد أذاعوا أفكارهم عن طريق رسائل أذاعوها بين الناس (عمر فروخ: تاريخ الفكر العربي ص 377).

[4]– عصمت دندش: الأندلس في نهاية المرابطين 340 ؛ بوتشيش: المغرب والأندلس في عصر المرابطين ص 132.

[5]– أحمد بن محمد المعروف بابن العريف (ت636هـ): متصوف من أهل المرية (ابن بشكوال: الصلة ج 1 ص 83.

[6]– نشر هذا الكتاب المستشرق آسين بلاتيوس ASIN Palacios سنة 1933 في باريس.

[7]– أبو الحكم بن برجان (ت636هـ): متصرف من أهل أشبيلية ومن أهل علم الكلام له تفسير في القرآن (ابن خلكان : وفيات الأعيان ج4).

[8]– أحمد بن قسي (ت46 5هـ) أحد المتسترين بالتصوف والثائرين على المرابطين في آخر دولتهم (ابن الخطيب: أعمال الأعلام تحقيق إليفي بروفنسال. ط 20 ، 1956 بيروت ص248.

الموجودات[1] .

لقد آثار هذا التيار الأخير من الصوفية حفيظة العلماء الذين اعتبروا هذه الطائفة خارجة عن الشرع. فابن العربي ينكر على هؤلاء قولهم بالحلول والإتحاد وما إليها من ألفاظ كالحرقة والفناء والعشق الذي يقول عنه " وللصوفية في إطلاق العشق على الله تجاوز عظيم وإعتداء كبير، ولولا إطلاقه تعالى المحبة ما أطلقناها فكيف نتعداها إلى سواها من ألفاظ المجان وليس لهذا أصل في الشريعة .[2]

[1]– د. أبو العلاء عفيفي: أبو القاسم بن قسي وكتابه خلع النعلين، مجلة كلية آداب الأسكندرية 11 السنة 1957 ص 54.

[2]– العواصم: ص 16.

الفصل الثالث

العلماء وسياسة المرابطين الوحدوية

لقد كانت فكرة الوحدة إحدى أهم ركائز المنهج المرابطي. وكان إعتراف القائمين على الدولة المرابطية بالتبعية للخلافة العباسية، تعبيرا صادقا عن هذا الإلتزام والإتجاه. والوحدة بالنسبة للمرابطين هدف عام ولكنها في الظرف الزمني الذي كانوا يعيشون فيه وسيلة لجهاد العدو ومدافعته والتقوى على خطر الداهم.

لقد قام المرابطون، بتوجيه مباشر من العلماء بتوحيد المغرب الأقصى وموريتانيا وكونوا في هذه الرقعة دولة تحمي مصالح المسلمين وتنشر بينهم العدل، وتقوم على الجهاد لإعلاء كلمة الله. هذا الصرح الجديد الشامخ ولد الأمل من جديد في نفوس كثير من المسلمين ببزوغ عهد جديد ينتشر معه بعض من الأمن والقوة في دار الإسلام بعدما عمتها الفوضى والذلة. وكان من الطبيعي أن يكون أول المشرئبين إلى هذه الدولة الجديدة هم أهل الأندلس، العدوة الثانية لقرب الجوار وعمق الوشائج.

1- الحال في الأندلس عند قيام دولة المرابطين

كانت شبه الجزيرة الأيبرية عند قيام دولة المرابطين منقسمة إلى قسمين: قسم شمالي تقوم فيه المماليك المسيحية وهي إمارة برشلونة ومملكة أرغون ومملكة قشتالة وليون[1]. وقسم جنوبي وهو الأندلس الإسلامية.

كانت هذه الأندلس قد انقسمت منذ سقوط دولة بني أمية بالأندلس سنة422 هـ [2] إلى دويلات تتجاوز العشرين عرفت بإسم دول أو ممالك الطوائف [3] . ومن أهم هذه الدويلات: إمارة

[1]- يوسف أشباخ: تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين ص 68.

[2]- الحميدي: الجذوة ص27 -28 ؛ المراكشي: المعجب ص 87-88 ؛ ابن عذاري: البيان المغرب ج3 ص 145 - 146.

[3]- عن أمراء الطوائف والأسر التي حكمت مختلف المدن انظر : زامباور: معجم الأنساب والأسراب الحاكمة في التاريخ الإسلامي ص 89 -92 ؛ عنان: دول الطوائف.

بني عباد في اشبيلية[1] وإمارة بني جهور في قرطبة[2]، وبني الأفطس في بطليوس[3]، وبني ذي النون في طليطلة[4] وبني زيري في غرناطة[5] وبني صمادح في المرية[6] وبني هود في سرقسطة[7].

وهكذا ساد التفكك السياسي بلاد الأندلس وتحولت إلى أشلاء ممزقة "وذهب أهل الأندلس في الإنشقاق والإنشعاب والإفتراق إلى حيث لم يذهب كثير من أهل الأقطار[8]

أما أمراء هذه الدول "فجعل الله بينهم من التحاسد والتنافس والغيرة مالم يجعله بين الضرائر

[1]– تأسست في اشبيليه عام 414 هـ وإستمرت حتى عام 484 هـ (يوسف حواله: بنو عباد في اشبيليه الطبعة الأولى1410 هـ ؛ طبع شركة دار العلم بجدة.

[2]– تأسست في قرطبة عام424 هـ وإستمرت حتى عام 492 هـ عندما سقطت في يد المعتمد بن عباد (بن بسام: الذخيرة ق 1 المجلد الثاني ص114–119)؛ ابن الخطيب: أعمال الأعلام ص127–151 ؛ خالد الصوفي: جمهورية بني جهور1959 المطبعة التعاونية ، دمشق.

[3]– تأسست عند إنتشار عقد الخلافة وإستمرت إلى أن سقطت في يد المرابطين سنة 488هـ (ابن عذاري: البيان المغرب ج٢ ص 226–239 ؛ ابن الخطيب: أعمال الأعلام ص 170 –179 .

[4]– تأسست سنة 427 إلى أن سقطت سنة 478 هـ في يد الفونس السادس (ابن عذاري: البيان المغرب ج 2 ص 279–282 ؛ ابن سعيد المغربي: المغرب ح2 ص 7 ؛ محمد عبد الله عنان: دول الطوائف ص 94 – 118.

[5]– تأسست سنة 403هـ واستمرت حتى سنة 483هـ حين سقطت في يد المرابطين (الأمير عبد الله بن بلقين: كتاب التبيان تحقيق أمين توفيق الطيبي ، طا مطابع منشورات عكاظ ، الرباط 1990.

[6]– تأسست سنة 429 هـ وأستمرت حتى سقطت بيد المرابطين سنة 484هـ (ابن عذاري: ج٣ ص ١٩٧ – ١٩٨؛ ابن الأبار: الحلة البيراء ج 2 ص 78–81 وص 82–84 ؛ السيد عبد العزيز سالم: تاريخ مدينة المرية الإسلامية ، الطبعة الأولى 1969 دار النهضة العربية ، بيروت).

[7]– تأسست سنة431 هـ حتى سقطت سنة512 هـ في يد النصارى (ابن عذاري: ج2 ص 221–224 ؛ ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة ج 3 ص 281–284 .

[8]– ابن الخطيب: أعمال الأعلام ص 144.

المترفات والعشائر المتغايرات، فلم تتصل لهم في الله يد ولا نشأ على التعاضد عزم"[1].

سقوط طليطلة و إستنجاد العلماء الأندلسيين بالمرابطين

لما كان سقوط مدينة طليطلة في يد ألفونس السادس هو السبب المباشر لإستصراخ أهل الأندلس بالمرابطين، فإنه من المناسب أن نوضح كيف سقطت هذه القاعدة الكبرى من قواعد الإسلام وملابسات ذلك السقوط. و كانت طليطلة تحت حكم أسرة بني ذي النون من أمراء الطوائف. ومن أشهر أمراء هذه الأسرة المأمون بن ذي النون (ت467هـ)[2] فقد بلغت في عصره إمارة بني ذي النون ذروة مجدها وأصبح يضاهي ملك بني عباد في اشبيليه. فلما توفي خلفه في حكم طليطلة حفيده يحي الملقب بالقادر وكان فتى حدثا قليل الخبرة. وكانت أولى سقطاته أن تخلص من وزير جده الفقيه أبو بكر بن الحديدي الذي اختصه المأمون بالنظر في الشؤون المالية وشؤون الرعية وإبداء الرأي والمشورة [3]، فقتله القادر.

وبمقتل الفقيه ابن الحديدي انقسمت طليطلة إلى فريقين متصارعين كل منهما يتربص بالآخر.[4]

في نفس الفترة تعرضت أملاك القادر لشن الغارات من ابن هود صاحب سرقسطة.[5]

---

[1]– نفس المصدر ص 244.

[2]– المأمون بن ذي النون (ت467هـ) تولى الحكم في طليطلة من سنة 435 – 467هـ. وكان أبرز حدث وقع في فترة حكمه هو إلتجاء الفونس السادس إليه سنة 1072 هربا من أخيه معانشو ملك قشتالة وقد أمضى الفونس تسعة أشهر في طليطلة ، مغمورة بكرم المأمون ورعايته ، إلى أن قتل أخوه سانشو فعاد إلى مملكته. ويبدو أن الفونس استثمر هذه المدة التي قضاها في طليطلة للتفكير في كيفية إحتلالها فدرس المدينة ووقف على مواقع الضعف في تحصيناتها. (محمد عبد الله عنان: دول الطوائف ص391.

[3]– ابن بشكوال: الصلة ج1 ص 348 .

[4]– ابن بسام: الذخيرة ق4 ج 1 ص 151 ؛ ابن الخطيب: أعمال الأعلام ص 179.

[5]– عنان: مرجع سابق ص 108.

وإزاء هذه المشاكل الخانقة رأي القادر أن الحل الوحيد هو أن يلجأ إلى الفونس السادس وأن يلتمس عونه وحمايته.

وكان المأمون جد القادر هذا قد إعترف بطاعة ألفونس من قبل وقبل تأدية الجزية إليه. وبالطبع حذا القادر حذوه واشتط ألفونس في مطالبة المالية التي رضخ لها القادر فضلا عن تنازله عن بعض الحصون.[1]

وفي سنة 472هـ ثار أهل طليطلة على القادر فاضطر إلى الفرار والإستنجاد بألفونسو الذي إستجاب لدعوته وأعاده إلى ملكه سنة 474هـ على رغم من أهلها.[2]

لم تكن إستجابة ألفونس تلك حبا في القادر ولا وفاء بسالف الود بل كانت بداية المخطط بيته لإحتلال طليطلة. وكان هذا المخطط قائمة على إنهاك قوة طليطلة وإضعاف مواردها قبل إحتلالها[3]. فبدأ منذ ذلك التاريخ يشن الغارات على نواحي طليطلة بحجة وبغير حجة فينتسف زروعها وأقواتها واستولى على كثير من حصونها[4]. دامت هذه الهجمات أربع سنوات لم تجد طليطلة خلالها ناصر ولا مدافعا.

كان أمراء الطوائف إزاء ما تتعرض له طليطلة ما بين عاجز كما هو حال المتوكل ابن الأفطس أمير بطليوس الذي بذل كل ما في وسعه من أجل توحيد الصف لمواجهة ألفونس. كما حاول بجيشه أن يصد هجمات ألفونس إلا أنه كان يهزم[5]، وفي مقابل عجز المتوكل رغم حسن

---

[1]– ابن الكردبوس: الإكتفاء في أخبار الخلفاء تحقيق أحمد مختار العبادي ، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية . مدريد ، المجلد الثالث عشر 1990–1999 ، ص 83.

[2]– ابن بسام: الذخيرة ق4 ج1 ص124.

[3]– ابن بلقين: كتاب التبيان ص 151.

[4]– أشباخ: تاريخ الأندلس في عصر المرابطين ص57.

[5]– المصدر السابق ص 59.

نيته وطويته .

دور العلماء في موقعة الزلاقة

لقد أسفرت المراسلات بين أهل الأندلس والمرابطين، والتي تزعمها الفقهاء في كلتا العدوتين : الأندلسية بأن رفعوا ضرورة الإستنجاد بالمرابطين ثم أقنعوا الأمراء بهذا الرأي. وفي العدوة المغربية اقنع الفقهاء أمير المسلمين بضرورة نصرة أهل الأندلس وأن ذلك واجب عليه[1] . أسفرت هذه المراسلات والوفود عن جواز أمير المسلمين يوسف بن تاشفين إلى الأندلس سنة 479هـ. وقد اغتبط العلماء لهذا الجواز إذ اعتبروه نصرا في حد ذاته.[2]

إننا هنا لن نستعرض التفاصيل[3] بل نكتفي بالقول أن يوسف لما جاز إلى الأندلس كان أول من تلقاه من أمرائها المعتمد بن عباد الذي أكرم أمير المسلمين ودعاه إلى النزول إلى اشبيليه للراحة من الرحلة. لكن ابن تاشفين اعتذر له قائلا: "إنما جئت ناويا جهاد العدو فحيثما كان العدو توجهت وجهه .[4]

في تلك الأثناء كان ألفونس السادس يحاصر سرقسطة فلما بلغه جواز يوسف بن تاشفين رفع الحصار عنها وبدأ يحشد القوى النصرانية ويستنجد بأمم مسيحية أخرى فوفدت إليه سريات من الفرسان من ولايات فرنسا الجنوبية، وتحالف مع سانشورا ميرث ملك أرغون والكونت برنجار

[1]– ابن الأبار: المصدر السابق ص 99.

[2]– لقد عبر عن هذا الشعور الفقيه ابن القليعي إذ اعتبر أن هذا الجواز وقع على "رغم أنوف الفسقة سلاطين الأندلس" (ابن بلقين: التبيان ص 134).

[3]– كثيرة هي الكتب التي تحدثت عن موقعة الزلاقة ومنها: ابن بسام: الذخيرة ق 2 ج 1 ص 241–254 ؛ عبد الله بن بلقين: التبيان ص 121 –125 ، مجهول: الحلل الموشية ص 39–66 ؛ المراكشي: المعجب ص 195 – 200 ؛ الحميري: الروض: مادة الزلاقة ؛ ابن أبي زرع: زرع القرطاس ص 145– 152 ؛ ابن خلدون: العبر ج 6 ص 383 .

[4]– المراكشي: المعجب ص 132.

ريموند فأنضما إليه بقواتهما. وتكون من الجميع جيش جرار.[1]

والتقى الجيشان المرابطي، وقد انضمت إليه قوات المعتمد وبعض السرايا التي بعثها بعض من أمراء الطوائف مثل ابن صمادح صاحب المرية وابني بلقين صاحبي غرناطة ومالقة الذين حضرا بأنفسهما والجيش المسيحي، ألتقيا شمال بطليوس في فحص الزلاقة (**Sacralias**)[2] حيث دارت معركة كبرى من معارك الوجود الإسلامي في الأندلس.

العلماء وجهودهم في توحيد العدوتين

شكلت معركة الزلاقة منعطفا مهما في تاريخ الأندلس والمغرب الإسلامي. وقد خلقت لدى الأندلسيين أملا في مستقبل ينحسر فيه الخطر المسيحي الداهم ويحل فيه العدل والرخاء الإجتماعي والاقتصادي لقد برهنت الزلاقة أن التفوق المسيحي نسبي، وأن إمكانية قهره ممكنة إذا توفرت النية الحسنة والقوة ووحدة الكلمة.

لكن هذه المعركة أثارت في أعماق النفوس سؤالا شائكة وهو هل بإستطاعة الكيانات السياسية القائمة أي دول الطوائف الإيفاء بمتطلبات هذا الأمل المنشود؟.

وبإستقراء سريع كان الأندلسيون يقفون أمام الحقيقة المرة وهي إفتقار هذه الكيانات إلى القوة وتخاذلها عن الوحدة ومجانيتها للنية الحسنة.

لم يكن من المعقول بالنسبة للأندلسيين وعلى رأسهم علماؤهم الرجوع إلى الحال السابقة المعركة الزلاقة، وكأن شيئا لم يحدث. '

[1]– لقد اختلف المؤرخون في عدد جيش النصارى المشاركين في موقع الزلاقة فيحدده ابن أبي زرع (روض القرطاس ص199).مئة وثمانين ألف فارس ومائتي ألف راجل ويقدره صاحب الحلل الموشية (ص56) بثمانين ألف فارس دون غيرهم ، أما ابن الأثير (الكامل ج8 ص 143) فيحدد العدد بخمسين ألف.

[2]– مجهول: الحلل الموشية ص 56 ؛ ابن خلدون: العبر ج 2 ص 189 .

كان الأندلسيون وبالخصوص العلماء والفقهاء يريدون لمعركة الزلاقة أن تكون بداية التغيير إلى غد أحسن. وفي مقابل ذلك كان ملوك الطوائف العاجزين عن تحقيق الأحسن يريدون أن يكون غدهم مواصلة لأمسهم اللاهي المتخاذل وأن تكون معركة الزلاقة حدثا عقيمة بلا نتائج.

في ظل هذا التجاذب بين رغبة أمراء الطوائف في تجميد الأوضاع على ما هي عليه من سوء وبين طموح الرعية في تغيير الحال إلى الأصلح، إنضم العلماء إلى تيار الأمل الواعد هذا. لقد إلتزم العلماء في الأندلس في معظمهم الحياد السلبي من مجريات الأمور في دول الطوائف قبل معركة الزلاقة. ولعل مرد ذلك إلى أن هؤلاء العلماء لم يكونوا يتوفرون على البديل[1] .

أما الآن بعد معركة الزلاقة، وقد وجدوا البديل متمثلا في دولة المرابطين وما تحمله من مباديء إسلامية وأميرها يوسف بن تاشفين، فقد ترك العلماء مواقفهم السلبية. لهذا فما ك اد أمير المسلمين يوسف يعود إلى المغرب، تلك العودة المفاجئة[2] التي منعت المرابطين من أن يجنوا ث مار النصر كام.

دور العلماء في إسقاط أمراء الطوائف وتوحيد العدوتين

كانت حصيلة غزوة لييط غصة في نفس أمير المسلمين يوسف بن تاشفين فقد تكشفت له حقيقة أمراء الطوائف وماهم عليه من تناحر وتخاذل عن الدفاع عن حرمة بلادهم، وماهم عليه

[1]– ابن عبود: جوانب من الواقع الأندلسي ص 86.

[2]– لقد إختلف المؤرخون في السبب أو الأسباب التي أدت بيوسف إلى الرجوع بسرعة إلى المغرب فقد ذهب كثير منهم إلى أن سبب عودته هو موت إبنه الأمير أبو بكر الذي استخلفه على سبتة و كان مريضا (ابن أبي زرع: روض القرطاس ص 152 ؛ مجهول: الحلل الموشية ص 69 ؛ أشباخ: تاريخ الأندلس ص 89 فيما يرى البعض أن إضطرابات حصلت على الحدود الشرقية للدولة المرابطية هي التي أدت إلى سرعة رجوع يوسف عصمت دندش: أضواء جديدة على المرابطين ص 57 على أن حسن محمود (قيام دولة المرابطين ص 289) يرى أن سبب رجوع الأمير يوسف هو موت ابن عمه الأمير أبو بكر بن عمر. وهذا الإحتمال الأخير مستبعد لأن الأمير توفي سنة 480هـ والذي يبدو صحيحا هو التعليل الأول.

من ترف وإنغماس في اللذات. كما تكشفت له وضعية الرعية المضطهدة المثقلة بالضرائب غير الشرعية. وقد شخص له علماء الأندلس الداء اللاحق بهم وأن لا سبيل إلى شفاء الأندلس إلا بإجتثاث هؤلاء الأمراء. ويبدوا أن يوسف قد اقتنع برأي العلماء الأندلسيين وإستقر رأيه على ضرورة التخلص من هؤلاء الأمراء.

إلا أن يوسف لم يكن ليقدم على أمر بهذه الخطورة حتى يستفتي أكبر عدد ممكن من العلماء ليطمئن إلى سلامة موقفه بمطابقته لشرع الله.

وبالفعل استفتى يوسف العلماء في العدوتين المغرب والأندلس في شأن هؤلاء الأمراء وإنتزاع الأمر من أيديهم وشرعية إزاحتهم عن كاهل الأمة. وقد أفتاه العلماء بجواز خلعهم وإزاحتهم[1] . وبأنه في حل مما تعهد لهم به من الإبقاء عليهم في جوازه الأول[2]، لأنهم خانوا الله بمعاهدتهم ألفونس على محاربة المسلمين وبالتالي فإن عليه أن يبادر إلى خلعهم جميعا "فإنك إن تركتهم وأنت قادر عليهم، أعادوا بقية بلاد المسلمين إلى الروم وكنت أنت المحاسب بين يدي الله[3]. ثم أن الإبقاء على هؤلاء الأمراء لا يتوصل معه إلى واجب الجهاد[4] . وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب[5]. وكان ممن استفتى في هذا الموضوع الفقيه يوسف بن عيسى المعروف بان الملجوم وقد اتسمت فتواه بالموضوعية والبعد عن النفاق. وقد ذكر له يوسف بن تاشفين في حيثيات سؤاله بأن هؤلاء الأمراء يتظاهر بعضهم على بعض بالنصارى وأنهم يضربون على المسلمين مالا يطيقون من المكوس والمغارم وأنهم تركوا الجهاد وصالحوا النصارى وباعوا لهم آلة الحرب من خيل وسلاح

[1]– ابن خلدون: العبر ج 6 ص 186.

[2]– ابن بلقين: التبيان ص 123.

[3]– ابن الكردبوس: الإكتفاء ص 106.

[4]– ابن خلدون: العبر ج6 ص 187 .

[5]– نجم الدين سليمان بن سعيد الطوفي: شرح مختصر الروضة تحقيق د. عبد الله التركي ج 1 ص335.

وأقوات فأجابه : بأن من كان من الملوك مصرة على هذه الأوصاف وموجودة في الوقت إمام أعدل منه عار من تلك الأوصاف مؤتمن من إرتكاب ذلك وهو قادر على قتال المتغلب على المسليمن الموصوف بما ذكر فله قتاله وعزله عن ولايته عن المسلمين..[1]

وقد أيد فتوى علماء المغرب والأندلس علماء أجلاء آخرون منهم الإمام الغزالي والإمام الطرطوشي. يقول الغزالي في شأن أمراء الطوائف: "... فيجب على الأمير وأشياعه قتال هؤلاء المتمردة، ولاسيما وقد استنجدوا بالنصارى....[2]

لقد أدت هذه الفتاوى إلى ترجيح كفة التدخل المرابطي في الأندلس، فأمير المسلمين يوسف بسبب تقواه وورعه لم يكن ليتراجع عن هذا القرار بعد أن أوجبه عليه الشرع.

لم يكن التدخل المرابطي في الأندلس قصد ربح مادي ولا مكسب اقتصادي بل كان جهاد في سبيل الله أملاه حق نصرة المسلم .[3]

إن مفهوم الأمة الواحدة الذي تشبث به المرابطون منذ قيام دولتهم وجعلهم يعلنون تبعيتهم للخلافة العباسية، رغم ما كانت عليه من ضعف، جعل مسألة السيادة والإستقلال بالنسبة للكيانات الإسلامية الصغيرة مسألة نسبية مرتبطة بالقدرة.

وبخلع المتوكل طويت في الأندلس صفحة أمراء الطوائف وتوحدت العدوتان بفضل مساعي

---

[1]– مجهول: بيوتات فاس الكبرى ص15.

[2]– رسائل أبي بكر بن العربي: تحقيق د. عصمت دندش ص 198 (نشرتها ملحقة بكتابها دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب افريقيا).

[3]– ويكفي هنا أن نورد نص كلام يوسف بن تاشفين الذي يبين فيه دوافعه إلى إحتلال الأندلس إذ يقول "... إنما كان غرضنا في ملك هذه الجزيرة أن نستنقذها من أيدي الروم ؛ لما رأينا استيلاءهم على أكثرها ؛ وغفلة ملوكهم وتواكلهم وتخاذلهم وإيثارهم للراحة ، وإنما همة أحدهم كأس يشربها وفينة تسمعه ، ولهو يقطع به أيامه ولكن عشت لأعيدن جميع البلاد التي ملكها الروم في طول هذه الفتنة إلى المسلمين....) عبد الواحد المراكشي: المعجب ص 241.

العلماء وجهدهم الدؤوب وحرصهم على لم شمل الأمة.

لقد كان العلماء في مؤازرتهم لمساعي المرابطين وإرشادهم لهم ينطلقون في أغلبهم من قناعات دينية راسخة تتمثل في وجوب مساندة من يقدر أن يدافع عن حرمة الإسلام ويحمي حوزته في الأندلس ويزيل الظلم ويحكم بالعدل. ومع ذلك فلاشك أن البعض ساند المرابطين لما آنسه فيهم من تعظيم للعلم وأهله. ورأوا أن حظوظهم مع هذه الدولة وأهلها أوفر من حظهم مع غيرها.[1]

ومن هذه الزاوية النفعية البحتة وجد بين العلماء من عارض الدولة المرابطيئة ومساعيها لخلع أمراء الطوائف فهذا أبو عبد الله محمد بن فرج مولى ابن الطلاع (ت497هـ) وكان شيخ الفقهاء في قرطبة، أسقط من الفتوى بعد دخول المرابطين لهذه المدينة، لفرط تعصبه عليهم مع بنى عباد. [2]

العلماء في مواقع النفوذ لقد قامت الدولة المرابطية، كما رأينا في الفصول السابقة، على أيدي العلماء وجهودهم ومثابرتهم وتضحياتهم. فلما استوى عود هذه الدولة وإشتد كان من الطبيعي أن يحظى العلماء فيها بموقع مؤثر ونفوذ متسع. فلم يكن إذا مستغربا أن يعظم أمير المسلمين يوسف بن تاشفين شأنهم ويصرف الأمور إليهم ويأخذ برأيهم فيها[3] . فكان كثير المشورة لهم[4] . وإزداد هذا النفوذ وتلك المكانة على عهد إبنه علي بن يوسف "... فبلغ الفقهاء في أيامه مبلغا عظيما لم يبلغوا مثله في الصدر الأول من فتح الأندلس. ولم يزل الفقهاء على ذلك وأمور المسلمين

[1]– حسن محمود: قيام دولة المرابطين ص 190.

[2]– عياض: ترتيب المدارك ج 8 ص 181.

[3]– ابن عذاري: البيان المغرب ج4 ص 46؛ ابن الخطيب: الإحاطة ج4 ص 349.

[4]– ابن خلكان : وفيات الأعيان ج4 ص 113؛ ابن أبي زرع: الأنيس المطرب ص 137.

راجعة إليهم، وأحكامهم صغيرها وكبيرها موقوفة عليهم، طول مدته[1] .

وتجلى هذا النفوذ والمكانة من خلال تأثيرهم على القرارات المهمة في الدولة. فقد أضحى العلماء أهم مستشاري أمراء المرابطين، إذ كان هؤلاء حريصين على الإستشارة في كل أمورهم وجعلوا ذلك المبدأ أحد مرتكزاتهم في الحكم، كما أشرنا إلى ذلك في فصل سابق. وكان مستشاروا أمير المسلمين عادة مجموعة من شيوخ المرابطين ونخبة من الفقهاء. وكان هؤلاء الأخيرون يمثلون القوة الأكثر تأثيرا على قرارات أمير المسلمين. فكان لمشورتهم في أغلب الأحيان الغلبة.

وقد كان العلماء يستشارون في كل الأمور جليلها وصغيرها إبتداء بأمور مثل ولاية العهد وإنتهاء بأمور مثل بناء الأسوار والحصون وتوسعة المساجد. فعندما أراد أمير المسلمين يوسف تعيين ولده علي وليا للعهد إستشار العلماء في ذلك فرضوا هذا الإختيار[2] . وقد إزداد الإعتماد على مشورتهم على عهد أمير المسلمين علي بن يوسف "فكان لا يقطع أمراً في جميع مملكته دون مشاورة الفقهاء[3] .

العلماء في مواجهة السلطة

إستعرضنا في الفصل السابق المكانة الكبيرة والنفوذ العظيم الذي أصبح للعلماء في الدولة المرابطية، والإجلال والإحترام الذي كان لهم في نفوس الخاصة والعامة. ورأينا كيف إستخدم العلماء هذه المكانة ومارسوا هذا النفوذ.

ويبدو أن هذا النفوذ المادي والمعنوي وهذا القبول قد أغرى بعض العلماء بعدم الإكتفاء بأن يكونوا شركاء في الحكم، حتى ولو كانوا شركاء نافذين، بل صبت أنفسهم لأن يكونوا هم أصحاب الحكم

[1]– عبد الواحد المراكشي: المعجب ص 203.

[2]– مجهول: الحلل الموشية ص 79.

[3]– عبد الواحد المراكشي: مصدر سابق ص 252.

الوحيدين.

لقد كانت إغراءات السلطة وحب النفوذ طاغية لدى مجموعة من العلماء، وكان السبيل إلى تحقيق هذا الحلم المنشود وهذا الأمل البراق يصطدم بواقع تملؤه دولة وسلطة قائمة. فكان طبيعية والحال هذه أن يصطدم هؤلاء العلماء الطموحون بأهل السلطة القائمة. لقد كان أول هؤلاء الطامحين إلى المجد المؤثل والساعين إلى الإطاحة بالدولة المرابطية هو الفقيه محمد بن عبد الله المعروف بابن تومرت[1] . ولما سيكون لحركة هذا الفقيه وثورته من نتائج كبيرة على منطقة المغرب الأقصى كله فإننا سندرس ثورته بتفصيل مبينين دوافعها ووسائلها.

1- التكوين العلمي لابن تومرت:

بدأ دراسته في المغرب[2] ثم رحل إلى الأندلس ومنها إلى المشرق. وقد إختلف المؤرخون في تحديد زمن قيامه بهذه الرحلة فيذكر المراكشي: أن ابن تومرت إرتحل في سبيل العلم في سنة 501 هـ[3]، في حين يقول أشباخ أنه ذهب إلى المشرق لطلب العلم بعد بضعة أعوام من تولي علي بن يوسف الحكم[4]. وفي هذه الرحلة أخذ ابن تومرت عن عدد من العلماء من بينهم أبي بكر الطرطوشي

---

[1]- ترجمته في أكثر من مصدر منها: أبو بكر بن علي الصنهاجي المعروف بالبيدق: أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين ، تحقيق عبد الوهاب بن منصور ، الرباط 1971 ، ومؤلف الكتاب هو أحد أتباع ابن تومرت ومرافقيه منذ رجوعه من رحلته العلمية. عبد الواحد المراكشي: المعجب ص 263 - 287؛ ابن خلدون: العبر ج6 ص 220-229 ؛ ابن أبي زرع: روض القرطاس ص 172؛ مجهول: الحلل الموشية ص 103 عبد المجيد النجار: المهدي بن تومرت.

[2]- لا يذكر المؤرخون شيئا ذا بال عن دراسة ابن تومرت في المغرب بل تكاد تكون حياته الأولى قبل سنة 500 هـ مجهولة ؛ وقد اكتفى ابن خلدون بأنه ولد في بيت صلاح وأنه شب قارئا محبا للعلم والعبر ج 2 ص 220 .

[3]- المراكشي: المعجب ص 292.

[4]- يوسف أشباخ: تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين ص 189.

وأبي بكر الشاشي[1] الذي درس عليه الفقه والأصول ودرس الحديث على المبارك بن عبد الجبار[2] وغيرهم .[3]

وتذكر بعض الروايات أن ابن تومرت لقي الإمام أبا حامد الغزالي ودرس عليه في بغداد وقيل بل لقيه بالشام أيام تزهده[4] . ويجعل ابن أبي زرع هذا اللقاء ملازمة طوال ثلاث سنين وأن هذا كان يبشره بأنه سيكون له شأن[5] .

وسنقف قليلا عند هذا اللقاء الذي جعله عدد من المؤرخين مسلمة من مسلمات التاريخ فبنوا عليها أحكاما ورتبوا عليها إستنتاجات.. فنتساءل متى كان هذا اللقاء. وأين؟.

2- مرحلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

بدأ ابن تومرث رحلة العودة إلى وطنه بعد قضاء وطره من المشرق. وبدأت هذه الرحلة من سنة 411 هـ. وقد مر ابن تومرت في طريق العودة بمصر حيث بالغ في الإنكار

على الناس لمخالفتهم للشرع [6]. فكان طبيعي أن يثير حنق الفاطميين عليه، مما "أفضى إلى أن

---

[1]- أبو بكر محمد بن أحمد فخر الإسلام الشاشي (ت 508) فقيه شافعي ، إنتهت إليه رئاسة الشافعية في عصره. تولى التدريس بالمدرسة النظامية ببغداد وإستمر إلى أن مات. من تصانيفه "حلية العلماء في مذاهب الفقهاء"

[2]- ابن خلكان : وفيات الأعيان ج 1 ص 588.

[3]- ابو الحسين المبارك بن عبد الجبار الطيوري البغدادي (ت500) محدث ، صدوق صحيح الأصول ، كثير الكتب (الحنبلي: شذرات الذهب ج 2 ص 413) وتاريخ وفاة المبارك يجعلنا نشك في رواية لقاء ابن تومرت له وهو لم يغادر المغرب إلا سنة 501 هـ والذي يبدو هو أن أتباع ابن تومرت جمعوا لائحة من الأسماء البارزة وجعلوا منها أشياحة له لإصباغ صبغة علمية كبرى عليه.

[4]- المراكشي: مصدر سابق ص 262-263.

[5]- ابن أبي زرع: روض القرطاس ص 172.

[6]- ابن خلكان: وفيات الأعيان جه ص 46.

نفاه متولي الأسكندرية عن البلاد .[1]

إزداد ابن تومرت في الأخذ بمبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عقب خروجه – من الديار المصرية، فكان كل ما نزل مصر من الأمصار سعي بيده ولسانه إلى تغيير

مايراه مخالفة للشرع. ومن بين المدن التي نزل بها مدينة المهدية[2] وبجاية[3] . وعلى القرب من هذه المدينة وفي قرية تدعي ملالة التقى[4] ابن تومرت بعبد المؤمن بن علي[5] الذي صار من أقرب أعوانه وأخص أتباعه.

وقد تابع[6] ابن تومرت طريقه إلى المغرب الأقصى مطرودا من كل البلاد التي نزلها.

ووصلت به الرحلة إلى مراكش عاصمة المرابطين، وهي تعيش في ظل الجيل الثاني من حكامها. كانت مراكش لذلك العهد. أي سنة514 هـ[7]) قد بدأت تتأثر بالقيم

---

[1]– ابن خلدون: العبر ج6 ص229 ؛ المراكشي: المعجب ص 292.

[2]– ابن خلكان: مصدر سابق نفس الصفحة.

[3]– ابن الأثير: الكامل مج 1 ص 599 ؛ المراكشي: المعجب ص 292.

[4]– يبالغ المؤرخون الأقدمون ولاسيما الموحدون منهم – مبالغة شديدة – في وصف لقاء المهدي بن تومرت التلميذه عبد المومن بن علي الكومي وتصوير ما ثبت هذا الشاب من علامات وصفات مميزة أخبره بها المهدي قبل وقوعها وعرف بعبد المؤمن قبل أن يلتقي به ، بعلامات كان قد عرفها بطريق التنجيم والجفور (ابن القطان: نظم الجمان ص77 ؛ ابن أبي زرع: روض القرطاس ص 172 ؛ ابن خلدون: العبر ج6 ص 227).

[5]– عبد المومن بن علي الكتامي: (508هـ) صاحب المهدي بن تومرت ورفيقه وخليفته على الموحدين وأول ملوك الدولة الموحدية (541–558 هـ) وقد توارث ملكها أبناؤه. ترجمته في معظم المصادر والمراجع ومنها: ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة ص 95– 190 ؛ ابن القطان: نظم الجمان ص 170–298 .

[6]– ترى د. عصمت دندش أنه كان يتحرك في تنقلاته حسب أوامر محددة سابقا وتنسيق مع دعاة من النزارية في المنطقة يشيرون عليه بتحركاته (أضواء جديدة على المرابطين ص 34).

[7]– الزركشي: تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية ص 5.

4- مرحلة تينملل:.

لقد كان إختيار تينملل إختيارا موفقا فهي في عمق جبال مصمودة ذات مسالك وعرة "لا يدخلها الفارس إلا من شرقها أو من غربها، أما غربها وهو الطريق إليها من مراكش، فطريق أوسع ما فيه أن يمشي عليه الفرس وحده وأضيقه أن ينزل عن فرسه خوفا من سقوطه وكذلك شرقها لأن الطريق مصنوعة من نفس الجبل، تحت سالكها حافات وفوقه حافات. وفيها مواضع مصنوعة بالخشب إذا أزيلت منها خشبة لم يمر عليها أحد[1]. فهي حصن طبيعي يصعب إقتحامه من طرف الأعداء.

ويبدو من مختلف روايات إنتقال المهدي إلى تينملل أن هذا الإنتقال كان بمبادرة منه وليس إستدعاء من أهلها كما يذكر ابن القطان[2] . وأكبر دليل على هذا هو حال الريبة والتوجس التي كانت بين المهدي وأهل تينملل منذ نزوله بديارهم، والتي أفضت إلى أن يغدر المهدي بأهل تينملل ويبيد منهم خلق كثيرة في يوم واحد[3] وقسم أموالهم وأراضيهم على أصحابه وسبى حريمهم وقد وقع هذا في نفس السنة التي نزل فيها تينملل أي سنة 18 ده. وبعد هذه المذبحة أعتبر المهدي أنه أصبح في مدينته فأدار عليها سورة وبنى على رأس الجبل حصنا سكنه هو وبعض خاصته .[4]

---

[1]- الإدريسي: نزهة المشتاق ص 64؛ الحلل الموشية ص 113.

[2]- ابن القطان: مصدر سابق ص 139.

[3]- يقول ابن القطان أن عدد القتلى كان ١٠ الف (نظم الجمان ص 139.

[4]- تذكر د. عصمت دندش للإستدلال على أن ابن تومرت كان أحد رجال النزارية الباطنية ، مسألة إختياره التينملل فهي ترى أن الأمر لم يكن عفوية بل تم لحصانتها ولأن موقعها يشبه تمام الشبه المنطقة التي بها قلعة الموت بقزوين وحتى الطريق المؤدي إليها ، بل وحتى الطريقة التي اتبعها ابن تومرت في الإستيلاء عليها وبناء الحصن فوق قمتها هو نفس الأسلوب الذي اتبعه

أثارت مذبحة أهل تينملل نفوس الموحدين بل وبعض خاصة المهدي مثل الفقيه الإفريقي الذي قال للمهدي" "كيف تقتل أقواما بايعوك ودخلوا في طاعتك وتقسم أموالهم؟" فأمر المهدي بقتله وصلبه "لأنه شك في عصمته "[1] .

لما أحكم المهدي قبضته على تينملل بدأ بتنظيم أتباعه فقسمهم إلى طبقات حسب ولائهم وإخلاصهم للمهدي ودعوته وجعل لكل طبقة وظيفة خاصة بها ورتبة لا تتعداها سواء في السفر أو الحضر[2]. وأهم هذه الطبقات هي طبقة العشرة وهي مجموعة الخلصاء أو خاصة الخاصة وأهمهم: تلميذه وألصق الناس به [3]عبد المؤمن بن علي وأبو محمد عبد الله الونشريسي[4] وأبو حفص عمر بن يحي الهنتاتي[5]

- ثورات القضاة في الأندلس:

تكاتب قضاة الأندلس، سنة 539 هـ في شأن الوضع الحالي لبلادهم. ويبدو أن بعضا منهم تواصوا بإنتهاز الفرصة وتقلد الحكم في مدنهم.

الحسن بن الصباح في الإستيلاء على قلعة الموت من صاحبها أضواء جديدة على المرابطين ص 26-27.

[1]- كان هذا الفقيه الذي لم تذكر المصادر إسمه أحد العشرة أي أنه كان من مخاصة الخاصة (ابن القطان: نظم الجمان ص ١٦٢).

[2]- ابن القطان: مصدر سابق ص 192.

[3]- مجهول: الحلل الموشية ص 109.

[4]- أبو محمد عبد الله بن محسن الونشريشي المشهور بالبشير من أوائل أتباع المهدي فقد إلتحق به عند مروره بونشريس في طريق عودته إلى المغرب الأقصى وقد لعب أدوار حاسمة في تاريخ الموحدين في فترة المهدي (ابن أبي زرع: روض القرطاس ص 179 ؛ الحلل الموشية ص 106 -107 .

[5]- أبو حفص عمر بن يحيى الهنتاني وإسمه الأصلي فصكة فعربه بعمر. وكان من أقرب أعوان ابن تومرت ، ثم كان ممن عقدوا الأمر من بعده لعبد المؤمن وقد توفي سنة 571هـ وهو جد الحفصيين الذين توطدت دولتهم بعد ذلك في افريقية.

و كان أول الخارجين على الحكم المرابطي هو القاضي أبو جعفر حمدين بن حمدين وكانت أسباب خروجه ذاتية أكثر منها موضوعية فقد كان طموحة إلى السلطة والنفوذ، فبايعه أهل قرطبة في الخامس من رمضان539 هـ بعدما طردوا عامل المرابطين الرئيس أبا عمر السوفي[1] وتلقب ابن حمدين بأمير المسلمين وناصر الدين[2] المنصور با لله وسكن فصر الإمارة.

ولن نستفيض في ذكر أخبار ابن حمدين وتطورات أمره لأننا سنذكر بتفصيل في الفصل التالي. ونكتفي بالقول بأن ثورته دامت أحد عشر شهرا إنتهت بإستعادة المرابطين لقرطبة [3]بقيادة الأمير أبو زكريا يحي بن غانية.[4]

كان من أصداء ثورة ابن حمدين في قرطبة أن قامت في نفس الوقت في غرناطة ثورة مماثلة تزعمها القاضي أبو الحسن علي بن عمر بن أضحى (492 – 540هـ) الذي كان يتولى قضاءها : وكان أبي النفس عالي الهمة[5] . وقد ساند أهل غرناطة ابن أضحى في ثورته فأخرج المرابطين من المدينة، وقد تحصن المرابطون بالقصبة ونشب القتال بين الفريقين، وكان أمير غرناطة المرابطي يومئذ هو علي بن أبي بكر المعروف بابن فنو[6] . واتصل القتال مدة فشعر ابن

---

[1]– ابن الخطيب: المصدر السابق ص 203.

[2]– ابن الخطيب: نفس المصدر والصفحة ؛ النباهي: تاريخ قضاة الأندلس ص 103.

[3]– الضبي: بغية الملتمس ص 29–30 . ابن الخطيب: المصدر السابق ص254.

[4]– أبو زكريا يحيى بن علي بن غانية الصحراوي (ت43 5هـ) غانية إسم أمه ، أحد كبار قواد المرابطين في الأندلس ، كان له دور كبير في الجهاد ومن أشهر مواقعه يوم أفراغة سنة ٥٢٨هـ والتي هزم فيها ابن رذمير ألفونس المحارب) كما كان له بلاء كبير في مدافعة النصارى عن مدينة الأشبونة في غرب الأندلس ولاه تاشفين بن علي على قرطبة سنة 538هـ (ابن الخطيب: الإحاطة ج 4 ص 344 –347.

[5]– ابن الأبار: الحلة السيراء ج 2 ص 214 .

[6]– علي بن أبي بكر بن إبراهيم السوفي: ابن أحد كبار أمراء المرابطين وهو أبو بكر بن إبراهيم السوني المعروف بابن تيفلويت (ت 510 هـ) أما أمه فهي أخت أمير المسلمين علي بن يوسف وهي التي ينتسب إليها فقد كانت تدعى فنو (ابن الأبار: الحلة

أضحي بأنه لا يمكن أن ينتصر على المرابطين بما عنده من القوات فأعلن بيعته لإبن حمدين صاحب قرطبة وإتباعه له. واستصرخ به وبابن جزي قاضي جيان[1] . وجه إليه ابن حمدين بعض قواته بقيادة ابن أخيه علي بن أحمد المعروف بابن أم العماد. ويبدو أن تبعية ابن أضحي لإبن حمدين واستنجاده به لم تكن عن إجماع من أهل غرناطة بل كان يمثل بالخصوص رأي الفقهاء في المدينة وجماعة من أهلها. أما الفريق الثاني فكان يرى أنه من الأفضل إعلان التبعية لسيف الدولة بن هود لقدم بيته وتغلبه في تلك الفترة على جيان وبعض القواعد الأخرى.

وبالفعل استدعى هذا الفريق ابن هود ليأتي لرئاسة مدينتهم. وقد لبى ابن هود على الفور وأسرع في دخول غرناطة في عسكر من أوباش النصارى وسقاط الجند.[2]

العلماء حكامة

لقد رأينا في الفصل الماضي، مرحلة من مراحل الطموح لدى العلماء في العهد المرابطي والتي تمثلت في الثورة على الدولة القائمة. وقد رأينا كيف إنتهت تلك الثورات في معظمها إلى الفشل. وفي هذا الفصل سنحاول التعرف على تجربة بعض العلماء في الحكم، وكيف تعاملوا مع معضلة التسيير اليومي لشؤون مناطقهم.

ومن خلال ذلك سنتبين مدى صدق الحكم الذي أصدره ابن خلدون على العلماء واصفا

السيراء ج 2 ص 2012.

[1]– ابن الأبار: الحلة السيراء ج 2 ص 212 .

[2]– سيف الدولة أحمد بن عبد الملك بن هود ويلقب بالمستعين بالله من سلالة بني هود ملوك الثغر الأعلى وكان صاحب قلعة روطة من عمل تطيلة بالثغر الأعلى وحينما ضيق عليه المرابطون أثناء إحتلالهم للأندلس ، تنازل عن قلاعه لصالح ألفونس ملك قشتالة نظير أن يقطعه إقطاع بجوار طليطلة. وأصبح ابن هود تابعا الألفونس يخرج معه في غزواته ضد المسلمين. وأشترك ابن هود في الفتن التي أثيرت في آخر عهد المرابطين وقتل فيها سنة .54هـ (ابن سعيد: المغرب ج٢ ص ٦٣٨؛ ابن الخطيب: أعمال الأعلام ص170). ابن عبد الملك: الذيل والتكملة السفر الخامس قسم 1 ص 223 .

إياهم بأنهم من بين البشر أبعد الناس عن السياسة ومذاهبها، وقد علل هذا الحكم بقوله أنهم "معتادون النظر الفكري والغواص عن المعاني وإنتزاعها من المحسوسات وتجريدها في الذهن أمورا كلية عامة ليحكم عليها بأمر العموم لا بخصوص مادة وشخص ولا جيل ولا أمة ولا صنف من الناس ويطبقون بعد ذلك الكلي على الخارجيات وأيضا يقيسون الأمور على أشباهها وأمثالها بما اعتادوه من القياس الفقهي فهم متعودون في سائر أنظارهم الأمور الذهنية والأنظار الفكرية لا يعرفون سواها. .

والسياسة يحتاج صاحبها إلى مراعاة مافي الخارج وما يلحقها من الأحوال ويتبعها فإنها خفية، ولعل أن يكون فيها ما يمنع من إلحاقها بشبه أو مثال وينافي الكلي الذي يحاول تطبيقه عليها .... فيقعون في الغلط كثيرة ولا يؤمن عليهم" .[1]

وسنتحدث في هذا الفصل عن تجربة عالمين هما: القاضي أبو أحمد بن الجحاف البلنسي وأبو جعفر حمدين بن محمد بن حمدين القرطبي.

1- القاضي ابن جحاف: حاكم بلنسية:

هو أبو أحمد جعفر بن عبد الله بن جحاف المعافري البلنسي، وأسرة بني جحاف أسرة عريقة في بلنسية فلها فيها الأصالة الماجدة، الناطقة بالقدم الشاهدة[2] وقد تكرر في أفرادها ولاية القضاء فقد ولي جده جحاف بن يمن القضاء للخليفة عبد الرحمن الناصر، واستشهد في غزاة "الخندق" عام 327هـ[3]. وتولى القضاء ابنه جعفر بن جحاف المتوفي سنة 376هـ[4] . وممن تولى

[1]- ابن خلدون: المقدمة ج 2 ص 242 .

[2]- ابن الخطيب: أعمال الأعلام ص 3.

[3]- الضبي: بغية الملتمس ج1 ص 322؛ الحميدي: جذوة المقتبس ج 1 ص294.

[4]- ابن الفرضي: علماء الأندلس ج1 ص 189.

القضاء منهم القاضي أبو المطرف عبد الرحمن بن عبد الله بن جحاف المتوفي سنة 472هـ[1] .

أخذ أبو أحمد العلم عن كثير من العلماء من أبرزهم حافظ المغرب أبو عمر بن عبد البر وأبو العباس العذري.[2]

أ- الحالة السياسية في بلنسية قبل حكم ابن جحاف :

كانت بلنسية قاعدة الحكم في شرق الأندلس أيام بني أمية. فلما كانت الفتنة وسقطت هذه الدولة إستقل بها صقلبيان من موالي المنصور بن أبي عامر هما مبارك ومظفر فتقاسما سلطنتها، مات أولهما سنة 408هـ وقد ثارت العامة على مظفر وقتلوه في نفس السنة[3] .

ثم آل الأمر فيها إلى عبد العزيز بن عبد الرحمن أحد أحفاد المنصور بن أبي عامر وذلك سنة 411 وظل يحكمها إلى سنة 452 هـ وخلفه فيها إبنه عبد الملك.

أن مدته لم تطل فقد خلعه صهره المأمون بن ذي النون صاحب طليطلة سنة 457هـ[4]. وقد نوب المأمون أبا بكر بن عبد العزيز[5] في إدارة بلنسية، وظل يديرها بالنيابة إلى أن توفي

---

[1]- ابن بشكوال: الصلة ج1 ص 320.

[2]- أبو العباس أحمد بن عمر بن قطبة العذري (ت 478هـ): محدث مشهور له رحلة إلى المشرق في طلب العلم دامت سنوات عدة. ولما عاد إلى الأندلس أخذ الناس عنه كثيرة وحدث عنه من كبار العلماء أبو عمر بن عبد البر وأبو محمد بن حزم وأبو علي الغساني وغيرهم من كبار الشيوخ (الحميدي: جذوة الإقتباس ج 1 ص 213 ؛ ابن بشكوال ج 1 ص ٩٩.

[3]- ابن الخطيب: أعمال الأعلام ص 220؛ ابن عذاري: البيان المغرب ج3 ص 108 ابن عذاري: المصدر السابق ص 193.

[4]- ابن بسام: الذخيرة ق 3 مج 1 ص 249- 250 . ؛ ابن عذاري: المصدر السابق ص 164 -166.

[5]- أبو بكر بن عبد العزيز (ت478 هـ): قال عنه ابن بسام "كان أحد ممن سبق وادعا وتجاوز ذروة الشرف متواضعة ، وكان من أراجع كبار الكتاب ، الطالعين في دمس هذه الفتنة المدلهمة كتب أبو بكر لعبد الملك بن عبد العزيز لما خلف أباه في حكم بلنسية ، فأظهر كفاية وأضطلع بما حمل. غير أنه مالأ ابن ذي النون عندما أراد إحتلال بلنسية ومهد له السبيل إلى أن خلع عبد الملك. وقد كافأه ابن ذي النون بأن جعله نائبا عنه على بلنسية (ابن بسام: الذخيرة ق 3 مج 1 ص 40 - 44 ؛ ابن الخطيب: أعمال الأعلام ص 202.

المأمون بن ذي النون سنة 467 هـ "فصفت له مشاربه وخلاله جانبه وضعف عنه مطالبه [1] فاستقل بها. وخلف عليها عند وفاته سنة 488هـ إبنه أبو عمر وعثمان.

وفي هذا الوقت كانت الأندلس تعيش أوقات مصيرية في حياتها فقد سقطت طليطلة في يد القشتاليين في صفر 478 هـ. وكان لهذا الحدث الجلل الذي هز الأندلس من أقصاها إلى أقصاها أثر . كبير وخطير في شرق الأندلس عموما وفي مملكة بلنسية بالخصوص.

كان ألفونس السادس عندما استولى على طليطلة تعهد المليكها المخلوع القادر بن ذي النون أن يعينه على الإستيلاء على بلنسية، التي كانت قد خرجت عن طاعته .[2]

وكان ألفونس السادس يسعى من وراء ذلك إلى تحقيق هدفين هما: تعويض القادر عن طليطلة ولكن الأهم من ذلك أنه كان يريد بسط نفوذه على بلنسية من خلال القادر الذي لا يعدو أن يكون تابعا ذلي؟

وإنجازا لهذا الوعد سار القادر بن ذي النون إلى بلنسية ومعه سرية قوية من الجند النصارى أمده بها ألفونس السادس تحت قيادة البرهانس .[3]

ب- ثورة القاضي ابن الجحاف :

في هذه الفترة الممتدة من 481-484 هـ كانت الأندلس تشهد أحداثا مهمة فقد أقدم

---

[1]- ابن بسام: الذخيرة ق 3 مج 1 ص 542)

[2]- ابن عذاري: البيان المغرب ج 2 ص309 ؛ ابن الخطيب: أعمال الأعلام ص 182.

[3]- البرهانس هو الاسم العربي للفارس القشتالي ALVARHANES ابن عم المغامر المشهور "السيد الكمبيطور" الذي سنتحدث عنه في الصفحات التالية ، وأحد قواد ألفونس السادس صاحب قشتالة وقد اشترك في جميع المواقع التي جرت بين ألفونس والمرابطين. وقد كان من كبار فرسان قشتالة في معركة "أقليش" في ٥٠١هـ وانهزم مع من انهزم. وقد خسر اقطاعيته في قرية تورينا حينما استولى المرابطون على قونقة بعد إنتصارهم في أقليش. توفي سنة 507 (1119 م) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب ص 109 ؛ حسين مؤنس: الثغر الأعلى في عصر المرابطين ص 39.

المرابطون على إستنزال أمراء الطوائف عن عروشهم لما وجدوا فيهم من ضعف عن تحمل مسؤولية الدفاع عن الإسلام والحفاظ عليه. ووصل المرابطون إلى شرق الأندلس بإحتلالهم لمرسية في شوال 484هـ[1] . وبدأ أهل شرق الأندلس يتوقون إلى الخلاص مما هم فيه من مكابدة النصارى وتعلقت أنظارهم وآمالهم بالجيوش المرابطية الزاحفة. وكان أهل بلنسية، كما رأينا، أشد المعانين من النصارى والكمبيطور على الخصوص الذي "أخذ بمخنق بلنسية وألقي زوره عليها يجبي رعيتها ويستغلها حاضرة وبادية " على حد قول ابن عذارى.

وبدأ أهل بلنسية يفكرون في كيفية التخلص من لذريق وصنيعته ابن ذي النون وجرأهم على ذلك ما كان يحققه المرابطون من إنتصارات باهرة.[2]

وأتت البلنسيين الفرصة فقد إنتقل الكمبيطور إلى سرقطسة في شعبان 484هـ إثر إستدعاء ابن هود وكان الغرض من هذا الإستدعاء هو التحالف على دفع خطر المرابطين الداهم وهذا ما يشير إليه ابن بسام بقوله " ولما أحس أحمد بن يوسف بن هود المنتزي.

تتبع أعمال ابن جحاف خلال مدة حكمه القصير تكشف لنا عن أبرز أسباب فشله : أولها: الجهل بواقع الأمور في بلنسية ومدى قوة كل طرف من أطراف الصراع فيها. ثانيها: وهو نتاج الأول عدم الثبات على الأمر فابن جحاف يحالف المرابطين اليوم ثم يطردهم في الغد ويناوىء السيد ثم يهادنه. ثالثها: عدم تقديره لخطورة ما أقدم عليه مما أدى به إلى عدم إتخاذ الأسباب الكفيلة بنجاحه ومن أهمها "إستجلاب الرجال" أي تكوين جيش قادر على حماية هذا الكيان الناشيء وإنفاق المال في سبيل ذلك بدل الإنشغال في تكديس الثروة. رابعها: قصر النظر في سياساته والذي تمثل في إنشغاله بالتمتع بمزايا الرئاسة عن تدبير الأمور التي تكفل بقاءها

[1]– ابن أبي زرع: روض القرطاس ص 100.

[2]– ابن عذاري: البيان المغرب ج4 ص 31.

وإستمرارها. كما تمثل في التعجل بتصفية الحسابات مع الخصوم مما أدى إلى فتح جبهة داخلية. فتشتت الجهد. ونختم هذا براي ابن بسام في ابن جحاف فهو يرى أن أسباب فشله تعود إلى أنه "دفع إلى النظر في أمور سلطانية لم يتقدم في غوامض حقائقها وإلى ركوب أساليب سياسية لم يكن له عهد بإقتحام مضايقها، ولا بالدخول في ضنك مآزقها ولم يعلم أن تدبير الأقاليم غير تلقين الخصوم، وأن عقد ألوية البنود، غير الترجيح بين العقود وإنتحال الشهود" .

إن الظروف الإستثنائية التي كانت تعيشها منطقة شرق الأندلس عامة وبلنسية خاصة كانت تجعل مهمة أي طامح على الأقل صعبة إن لم تكن مستحيلة.

أبو جعفر حمدين بن حمدين: حاكم قرطبة.

إحتفظت قرطبة في بداية عصر المرابطين بمكانة سامية بين مدن الأندلس وقواعدها الهامة. ففيها دعا يوسف بن تاشفين شيوخ لمتونة وأمرائها وفقهاء المرابطين وقادتهم لعقد البيعة لإبنه علي وذلك سنة 496هـ[1]. وأصبحت قرطبة منذ ذلك الحين مركز الثقل لدولة المرابطين في الأندلس، وكانت في أغلب الأوقات مقراً لنائب أمير المسلمين في الأندلس.

وكانت لقرطبه مكانة كبرى في نفوس الأندلسيين لماضيها المجيد كعاصمة للخلافة الأموية ولما تضم من بيوتات العلم واعلام المعرفة. ومن هذه البيوتات العلميه المشهورة بيت آل حمدين التغلبيين وهو من اقدم البيوتات العربية في الاندلس وقد اشتهرت هذه الأسرة بأنها "بيتة علم ودين وفضل وجلالة [2].

وقد تولى عدد من أفرادها القضاء فقد كان محمد بن علي بن حمدين (ت 508هـ) وهو والد أبي جعفر، قاضي الجماعة بقرطبة من سنة 490 إلى108 هـ. قال عنه ابن بشكوال " كان

[1]– ابن عذاري: البيان المغرب ج4 ص 443 الحلل الموشية: ص 78 .

[2]– ابن بشكوال: الصلة ج1 ص 581.

من أهل التفنن في العلوم " وقال عنه تلميذه القاضي عياض : "أحد رجال الأندلس وزعيمها في وقته جلالة ووجاهة" . وهو الذي أفتى أمير المسلمين علي بن يوسف بضرورة مصادرة كتاب الإحياء للإمام الغزالي وحرق نسخه لما فيه من "منكرات". وممن تولى القضاء أيضا أحمد بن محمد وهو أخو أو جعفر، وقد تولى قضاء الجماعة بقرطبة "وكان نافذا في أحكامه جز" في أفعاله وقد توفي سنة 521 هـ وهو يتولى القضاء.[1]

أما أبو جعفر حمدين بن محمد بن علي بن حمدين فقد ولي القضاء بقرطبة في شعبان سنة 529 هـ على إثر مقتل قاضيها أبي عبد الله بن الحاج في تلك السنة . ولكن مدة قضائه لم تطل فقد عزل سنة 132 هـ نتيجة إختلافه مع حكام المرابطين في قرطبة. وربما كان السبب الأساسي لعزله هو ما بدأ يظهره من تنفذ في قرطبة مستغلا في ذلك ما كان له من ثقل إجتماعي كبير. وقد عين مكانه القاضي أبو القاسم ابن رشد وهو ابن زعيم فقهاء قرطبة في أوانه وقاضي جماعتها أبو الوليد بن رشد. ويبدو أن هذا التعيين لم يرق لأبي جعفر فقد كان يراه تدعيمة وخلقا لمنافس له في زعامة قرطبة.

المحافظة على المجد الذي كسبوه في عهد المرابطين. وبدأت نزعة التشرذم المتأصلة في النفوس تحيا.

- ثورة ابن حمدين:

جاءت أولى شرارات الثورة على المرابطين إثر قيام جماعات "المريدين في غرب الأندلس قياما عاما تزعمه أبو القاسم أحمد بن الحسين بن قسي وإستعان في إجتذاب الناس إلى دعوته بإدعاء الهداية "مخرقة وتمويها على العامة" وذلك في صفر539 هـ" . وقد أحدثت هذه الثورة بالإضافة إلى الوضع في المغرب أثرها في نفوس أهل قرطبة الذين بدأت بذور الثورة تختمر من

[1]- النباهي: المصدر السابق 102 ؛ ابن عذاري: البيان المغرب ج4 ص 93.

جديد في أذهانهم، وهم شعب معروف بسرعة تقلبه وهياجه.

ووجد أهل قرطبة الفرصة المواتية عندما خرج الأمير أبو زكريا يحيى بن غانية حاكم المرابطين العام بالأندلس والمقيم في قرطبة ؛ خرج إلى أشبيلية لمواجهة خطر "المريدين " وقد خلف على قرطبة أبا عمر اللمتوني، فثار أهل قرطبة به وأعلنوا خلع الدعوة المرابطية. ونادوا برئاسة القاضي أبي جعفر بن حمدين. بويع ابن حمدين[1] بالإمارة في المسجد الجامع فبايعه الخاصة والعامة وذلك في الخامس من رمضان سنة139هـ.[2]

واستقر ابن حمدين بقصر الخلافة وتسمى بأمير المسلمين وناصر الدين، ووفقا لقول ابن الأبار بأمير المسلمين المنصور با لله. فبرز الأمر الذي كان يجيش في صدره كما يقول ابن الخطيب. ودعي له على منبر قرطبة ومعظم منابر القواعد الأندلسية.

وكان ابن غانية قد سار عندئذ إلى لبلة[3] ليجهز على المريدين الذين تحصنوا بها، فلما علم بما وقع في قرطبة عاد أدراجه إلى اشبيلية. ولكنه ما كاد يستقر بها حتى ثار به أهلها وناصبوه العداء وجرح أثناء القتال الذي نشب بينه وبينهم. فارتد عندئذ في قواته إلى حصن مرجانة.

لم يكن القاضي ابن حمدين الطامح الوحيد إلى الإستئثار بقرطبة والتأمر فيها فقد ظهر في الميدان طامع آخر هو أبو جعفر أحمد بن عبد الملك بن هود الملقب بسيف الدولة، وكنا قد ذكرنا في الفصل الماضي جزءا من نشاطه ومحاولاته لتكوين إمارة، كما ذكرنا أنه كان أحد أتباع ملك قشتالة. ويبدو أن هذا الأخير أمره بالدخول إلى ميدان الصراع في الأندلس لإثارة أهلها على

[1]– ابن الخطيب: نفس المصدر ص203.

[2]– ابن الخطيب: نفس المصدر ص 253؛ النباهي: المرقبة العليا ص103.

[3]– لبلة: مدينة قديمة تقع في الجنوب الغربي للأندلس بشمال طريانة قريبة من اشبيلية (الحميري: الروض المعطار ص 507.

المرابطين.

وقد نجح ابن هود في مداخلة جملة من أهل قرطبة فاستدعوه إلى مدينتهم. وفي نفس الوقت كان بعض آخر من أهل قرطبة يتزعمه أبو الحسن بن عتيق يستدعي

أثر العلماء في الدعوة والجهاد

أولا : أثر العلماء في الدعوة:

لقد ارتبطت الدعوة إلى الله منذ بزوغ فجر الإسلام بالعلم والعلماء، قال تعالى : (وماكان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفرين كل فرق بينهم طائفة ليتفقهوا في الدين وليد ژوة هم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون).[1]

وقد إستشعر عدد من العلماء في العهد المرابطي، إبتداء بالإمام عبد الله بن ياسين، ضرورة الدعوة وإنذار قومهم ومن جاورهم وإبلاغهم الدين القويم.

ولن نعيد هنا جهود الإمام عبد الله بن ياسين في هذا المجال إذ أننا بسطنا القول فيها في الفصل الأول من الباب الأول ورأينا هنالك كيف أدت تلك الجهود إلى قيام دولة المرابطين التي كان الهدف الأساسي من قيامها هو نشر الإسلام ودعوة الناس إليه.

وقد تتبعنا في الفصول الماضية مسيرة الدولة المرابطية في المغرب الأقصى والأندلس وجهود العلماء في الحفاظ على الإسلام من الزيف والتغيير وصد عدوان أعداء الدين من مسيحيين.

وسنتعرض هنا للجهود التي قام بها العلماء في الدعوة في الشق الجنوبي من الدولة المرابطية وأثر ذلك على المنطقة.

وقبل أن نتحدث عن تلك الجهود لابد أن نشير إلى شح المعلومات عن هذا الجزء الجنوبي من الدولة المرابطية، إذ تكاد المعلومات عنه لهذا العهد تنحصر في سطور قليلة في كتاب

[1]– الآية 122 من سورة التوبة .

المسالك البكري وإشارات عابرة في روض القرطاس لإبن أبي زرع وفي الحلل الموشية.

لقد أشرنا في الفصل الأول من الباب الأول إلى الملابسات التي جعلت الأمير أبي بكر بن عمر يتنازل عن الحكم لإبن عمه يوسف بن تاشفين سنة 464هـ[1]، وعودة أبي بكر إلى الجنوب لمواصلة جهاد الوثنيين في بلاد السودان. وقد ذكرنا هنالك بالتفصيل جهود هذا الأمير المجاهد وجهاده المستمر إلى أن أستشهد سنة 480هـ. لقد كانت السنوات الستة عشر التي أمضاها داعية إلى الله بالقول والعمل منعطفا تاريخية حاسمة في تاريخ منطقة السودان الغربي، إذ ستكون هذه الفترة منطلقا لتحول المنطقة إلى منطقة إسلامية.

لقد رأينا في ما مضى كيف تمكن الأمير أبو بكر بن عمر من هزيمة امبراطورية غانة واحتلال عاصمتها سنة 469هـ .

لقد أدى هذا النصر إلى اعتناق كثير من أهل تلك البلاد الدين الاسلامي، إلا أن العامل الأساسي في ترسيخ هذا الدين في القلوب وجعل أهل السودان الغربي يدخلون فيه أفواجا، هذا العامل هو الجهد الذي قام به العلماء من الدعوة إلى جانب الجيوش الفاتحة.

لقد كان الدعاة يتعقبون الجيش المرابطي الفاتح فيدعون الناس إلى الإسلام ويعلمون من دخل منهم الإسلام قواعد الدين، ويعملوا على تدعيمه في النفوس. ولعل أبرز مثال على ذلك هو اعتناق ملك مالي[2] للإسلام في أواسط القرآنية وأنشأوا المساجد وقاموا بتدريس اللغة العربية.

---

[1]– ابن أبي زرع: روض القرطاس ، ص 130.

[2]– مالي: (–1981 م) إحدى ممالك السودان الغربي القديمة ، تقع في حوض النيجر الأعلى ، وهي مملكة قديمة غير أنها لم تشتهر إلا إبتداء من القرن الثالث عشر ميلادي (1230 م) عندما بدأت تتوسع لترث امبراطورية غانة ، وتصبح مملكة عظمى. وقد بلغت أوج عظمتها في القرن الثامن الهجري الرابع عشر ميلادي وقد إشتهر من ملوكها منسي موسى ، حكم من (1307– 1332 م) الذي حج سنة424 هـ وزار القاهرة والمدينة المنورة بكثرة عطاياه ، وفي عهده زار الرحالة المغربي ابن بطوطة مالي . (البكري: المسالك ج2 ص 870 ، ابن بطوطة: تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار تحقيق محمد عبد المنعم

وصارت المساجد في مجتمعاتهم نقطة الإرتكاز للحياة الدينية والدنيوية .[1]

ومن هؤلاء العلماء الدعاة الذين رحلوا من أوطانهم واستقروا في مناطق أخرى من أجل الدعوة إلى الله وبث العلم، الشريف عبد المؤمن بن صالح الذي أسس مدينة تشيت[2] سنة 536هـ، وهو أحد تلاميذ القاضي عياض السبتي. وقد أضحت هذه المدينة إحدى منارات العلم والدعوة في موريتانيا وبلاد السودان الغربي .

- نتائج جهود العلماء في الدعوة:

لقد أثمرت جهود العلماء في الدعوة نتائج ملموسة وعظيمة يمكن حصر أهمها في النقاط الثلاث التالية :

1- **نشر الإسلام** : وقد إستعرضنا فيما مضى كيف أن الإسلام إنتشر في منطقة السودان الغربي أساسا بالدعوة المستنيرة القائمة على الحسني على يد العلماء، وهو أمر ظل محسوسا حتى قرون متأخرة عن العهد المرابطي، إذ لاحظ الأوربيون في أول إتصالهم بالسودان الغربي أن "المرابطين البيضان هم الذين نقلوا المحمدية (الإسلام) إلى الزنوج، ولهذا كان لهم نفوذ قوي على هذه الشعوب التي تنظر إليهم كأساتذة مرشدين في كل ما يتصل بالدين " .

العريان ط1 1978 دار إحياء العلوم بيروت ص 694 –710 ابن خلدون: العبر ج6 ص 201.

[1]– د. عبد الله إبراهيم: الجهاد والدعوة الإسلامية في جامبيا ، محلة مركز الوثائق والدراسات الإنسانية ، جامعة قطر العدد 13 ، 1993 ، ص 232 .

[2]– تيشيت: مدينة في منطقة تكانت في وسط موريتانيا الحالية أنشئت سنة ٥٣٩هـ كانت مركز حياة علمية مزدهرة أنجبت عدد هام من العلماء والمؤلفين المدرسين وهي إحدى مدن الواحات القديمة ومحطات القوافل بين المغرب العربي والسودان الغربي. وهي اليوم إحدى المدن التاريخية التي شاخت ولكنها ماتزال تغالب عوادي الزمن. وهي من أوفر المدن الموريتانية مكتبات ومخطوطات. (أحمد بن الأمين الشنقيطي: الوسيط في تراجم أدباء شنقيط ، الطبعة الرابعة ، 1989م ، مكتبة الخابجي ، القاهرة ص 459 ، المختار بن حامد: حياة موريتانيا ، ج٢، (الحياة الثقافية) ، الدار العربية للكتاب ، تونس،1990 م ، ص 6.

2-**نشر اللغة العربية:** لقد أدت الدعوة إلى الإسلام وإنتشاره في ربوع السودان الغربي إلى إنتشار اللغة العربية فأضحت اللغة الأساسية لأهل هذه المنطقة، فهي لغة التجارة ولغة العلاقات الخارجية وهي قبل ذلك لغة الدين والعلم ومما ساعد على إنتشار اللغة العربية أن أهل هذه المنطقة لم تكن لهم لغات مكتوبة. ومع الزمن أضحت اللغة العربية جزءا من هوية هذه المنطقة. وقد لاحظ الأوربيون في القرن 18م عندما كانوا يقومون بتجارة الرقيق أن عددا لا يستهان به من هؤلاء الزنوج يجيد كتابة اللغة العربية .

ولعله من الجدير بالذكر أن نذكر ما لاحظه المؤرخون من أن بعضا من هؤلاء الزنوج الذين استرقوا في القارة الأمريكية "ظلوا يعبدون الله على مدى أجيال وقد تمكن بعض منهم من إدخال القرآن الكريم إلى موطنه الجديد " كما لاحظوا أن إجادة هؤلاء الزنوج للغة لا يعرفها أسيادهم، وهي اللغة العربية، أعطتهم وسيلة مقاومة كبيرة للمحافظة على كيانهم وهويتهم.[1]

3-**نشر العلم:** لقد كان من ثمار جهد العلماء في الدعوة بمنطقة السودان الغربي أن أنتشر العلم في هذه المنطقة وأهتم أهلها بتعلمه وأصبحت مدن مثل ولاته [2] وتمبكتو وجني منارات علم وثقافة حتى أضحى جامع سنكري في تمبكتو في القرن العاشر الهجري، بالنسبة إلى السودان الغربي، يعد في مصاف الأزهر بالقاهرة والزيتونة في تونس والقرويين في فاس[3] .

---

[1] -J.Ki – Zerbo: op.cit P.220.

[2]- ولاته: مدينة في الجنوب الشرقي لموريتانيا الحالية ، ذات تاريخ عريق لا يعرف بالتحديد تاريخ إنشائها ، كانت تعرف بإيولاتن ، شهدت ازدهارا ثقافيا كبيرا خلال القرون 11-13 هـ. وقد زارها ابن بطوطة خلال رحلته إلى بلاد السودان الغربي سنة ٧٠٣هـ (ابن الخطيب: الإحاطة ج 3 ص 192 ؛ ابن بطوطة: تحفة النظار ص 189 ، الشنقيطي: الوسيط ص 409

[3]- جامع سنكري: جامع بني في القرن العاشر الهجري. وقد أنفقت على بنائه امرأة ثرية من قبيلة لغلال الشنقيطة المعروفة. (السعدي: مصدر سابق ص 27)

وقد لاحظ ابن بطوطة في رحلته إلى السودان الغربي عام 703هـ إهتمامهم وعنايتهم بحفظ القرآن العظيم فيقول : " وهم يجعلون لأولادهم القيود إذ ظهر في حقهم التقصير في حفظه فلا تفك عنهم حتى يحفظوه. ولقد دخلت على القاضي يوم العيد وأولاده مقيدون فقلت له ألا تسرحهم؟ فقال : لا أفعل حتى يحفظوا القرآن ومررت يوما بشاب منهم حسن الصورة عليه ثياب فاخرة وفي رجله قيد ثقيل فقلت لمن كان معي: مافعل هذا؟ أقتل؟ ففهم عني الشاب وضحك وقيل لي : إنما قيد حتى يحفظ القرآن.[1]

ومع أن ابن بطوطة زار السودان الغربي بعد عصر المرابطين بقرنين فإننا نرى أن هذا الإهتمام بالعلم إنما هو إمتداد لأثر العلماء المرابطين الذي كان أساس دعوتهم العلم.

أثر العلماء في الجهاد:

إن الجهاد الذي هو ذروة سنام الإسلام إنما هو طور متقدم من أطوار الدعوة ووسيلة من وسائل إزالة العوائق المعترضة سبيل إنتشار الحق. لقد كان العلماء، بحكم صفتهم، أدرى الناس بأهمية هذا الواجب. وفي العصر المرابطي شعر العلماء بضرورة القيام بعبيء هذا الواجب. وقد رأينا في الفصل الأول من الباب الأول الدور الجهادي الذي قام به الإمام عبد الله بن ياسين إلى أن أستشهد وما قام به الفقيه سليمان بن عدو وغيره من أجل إعلاء كلمة الله. وقد أدت هذه الجهود الجهادية إلى تأسيس دولة كبرى مهمتها الأساسية الجهاد في سبيل الله والإلتزام بشرع الله.

لقد وجدت هذه الدولة أبواب الجهاد مشرعة في الجنوب الوثني وفي الشمال في ارض الأندلس لمدافعة النصارى ووقف زحفهم على الديار الإسلامية. .

إننا وإن كنا لا نشك أن الجهاد الذي قام به المرابطون في الجنوب الوثني بأرض السودان

[1]- ابن بطوطة: مصدر سابق ص 70.

الغربي كان عظيما إستنادا إلى نتائجه والمتمثلة في تحويل هذه المنطقة إلى بلاد إسلام فإننا للأسف لا نملك التفاصيل عن ذلك الجهاد فكل ما ذكر لا يتعدى إشارات مجملة متفرقة كما ذكرنا في بداية هذا الفصل.

أما الميدان الجهادي الثاني وهو أرض الأندلس فقد كان للعلماء فيه أثر كبير. وقد ذكرنا في الفصل الثالث من الباب الأول الدور الذي قام به العلماء في دعوة أمير المسلمين يوسف بن تاشفين إلى جهاد النصارى في الأندلس ونصرة المسلمين هناك وبينا

خـــــاتمة

الخاتمة :

لقد حاولت من خلال هذه الرسالة أن أجلي الدور التاريخي الذي اضطلع به العلماء في عصر المرابطين من خلال مشاركتهم السياسية في الأحداث.

وقد توصل البحث إلى نتائج أرى أنها مهمة تتمثل فيما يلي :

أولا :

أنه كان للعلماء دور مهم في معظم فترات التاريخ السياسي للمغرب الإسلامي قبل قيام دولة المرابطين فتحمل عدد مهم من العلماء مسؤوليات الدفاع عن الحق راضين بتبعات ذلك، فكان لهم تأثير متميز في مجريات الأحداث. فقد كان دورهم حاسمة وتاريخيا في سقوط النفوذ الشيعي في المغرب الإسلامي. فلولا صمود علماء هذه المنطقة وصبرهم على مبادئهم لترسخ المذهب الشيعي في المغرب الإسلامي. كما كان دورهم فاعلا في تعريب منطقة المغرب الإسلامي.

ثانيا :

أن قيام الدولة المرابطية كان بالأساس نتيجة تفكير وتخطيط العلماء الذين أرادوا لهذه الدولة أن تقوم على التمسك بالإسلام ومنهجه ساعية لإستصلاح الخلق بإرشادهم إلى الطريق المنجي في العاجل والآجل. وقد قام بالدور الأكبر في تحقيق هذا الهدف الإمام عبد الله بن ياسين. وقد أسدى العلماء بتكوينهم لهذه الدولة خدمة جليلة إلى الأمة الإسلامية، إذ لمت شمل شعوب اسلامية كثيرة وساهمت في الجهاد لإعلاء كلمة

ثالثا :

قام العلماء بدور بارز في توحيد العدوتين الأندلسية والمغربية وكانت آراؤهم وفتاويهم العامل المهم لتحقيق هذه الوحدة التي أرادوا لها أن تكون وسيلة لحفظ ما تبقى من الإسلام في الأندلس بمدافعة

النصارى. وقد جلينا الجهد الكبير والمتميز الذي ساهم به العلماء في معركة الزلاقة وهو دور أغفله معظم المؤرخين لهذه الفترة في حين اكتفي من ذكروه بالإشارة العابرة.

رابعا :

تتمثل توصل البحث إلى حقيقة مهمة في كون العلماء صاروا في العهد المرابطي هم وسطاء الشعب الحاملين لرغباته المعبرين عن طموحاته وخصوصا في الأندلس.

خامسا:

سعى العلماء إلى توحيد المشارب الفكرية وإلتزام طريق السلف الصالح في ذلك، مما أثار عليهم الكثير من النقد من طرف بعض المؤرخين.

ورغم ذلك النقد فإن هذا المسعى قد أدى بلا ريب إلى اللحمة بين العناصر البشرية المشكلة للدولة المرابطية وخصوصا في العدوة الجنوبية.

فعملية المزج والتوحيد وإن كانت في الأساس تهدف إلى تحقيق الوحدة الدينية فقد أدت إلى توحيد سياسي وثقافي وهو مكسب تاريخي لا جدال فيه.

سادسا:

أن النفوذ الكبير الذي تمتع به العلماء في دولة المرابطين جعل منهم طبقة مؤثرة مرغوبة ومرهوبة.

سابعا:

خلق هذا النفوذ العام طموحات وأطماعة شخصية كبيرة لدى بعض العلماء فثار عدد منهم على الدولة المرابطية محاولا تأسيس ملك وتشييد زعامة. وقد فشل معظم هؤلاء الثائرين في تحقيق هدفهم. وقد أضعف هؤلاء الثوار الدولة المرابطية وشتتوا جهدها مما كان له أسوأ الأثر على حركة الجهاد التي كانت تقودها ضد النصارى في الأندلس.

ثامنا:

لم يكن أغلب العلماء الذين تصدوا للقيام بأعباء الحكم على مستوى المسئولية الملقاة على كاهلهم، وجانب أكثرهم الصواب في التعاطي مع الأحداث. ويرجع سبب ذلك إلى عم إنتفاع هؤلاء بعلمهم وعدم تطبيقهم له في تعاطيهم مع الشأن العام. وكان الإستثناء الأكبر هو الإمام عبد الله بن ياسين الذي ولد جهده قيام دولة المرابطين.

وأعطى بنجاحه الدليل الأكبر على أن صفة العالم ليست عائقا عن التعاطي الصحيح مع السياسية بل على العكس إذ أن العلم هو الشرط الأساسي لتكون السياسة خيرة نافعة.

تاسعا:

لقد كان دور العلماء مهما وفاعلا في الدعوة إلى الله والجهاد في سبيله فأثمر جهدهم إنتشار الإسلام في السودان الغربي وتحوله من منطقة وثنية إلى منطقة إسلامية. كما ساهم جهدهم في إضعاف حركة الإسترداد المسيحية في الأندلس ولو إلى حين وأجل سقوط هذا الجزء من ديار الإسلام حوالي قرنين من الزمن. كما أبقوا بجهدهم جذوة الجهاد حية في النفوس.

لقد توصلت هذه الرسالة في مجملها إلى حقيقة، أرى أنها لم تجل من قبل، وهي أن العلماء في العهد المرابطي كانوا يشكلون طبقة إجتماعية نشطة وفاعلة أثرت في التاريخ السياسي المنطقة المغرب الأقصى والأندلس، وحاول أفرادها، في معظمهم أن يبذلوا ما استطاعوا من جهد في سبيل نشر الخير والعدل وإن تخلل ذلك بعض الضعف البشري من مساع أنانية ومطامح آنية.

قائمة المصادر و المراجع

المصادر :

القرآن الكريم.

ابن الأبار: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي (ت658هـ)

التكملة لكتاب الصلة. تحقيق السيد عزت العطار الحسيني، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1956م ،أعيد طبع الجزء الأول بتحقيق إبراهيم الإبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة ،1910 هـ.

الحلة السيراء، تحقيق د. حسين مؤنس، الشركة العربية للطباعة، القاهرة ،1963.

المعجم في أصحاب القاضي الصدفي، تحقيق إبراهيم الإبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة ،1989 م.

ابن الأثير : علي بن محمد بن عبد الكريم بن الأثير (630هـ) .

الكامل في التاريخ، طبعة دار صادر، بيروت، 1982م.

الإدريسي : محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحسيني (ت560هـ)

نزهة المشتاق (الجزء الخاص بصفة المغرب وأرض السوادان، مصر والأندلس) نشر النص العربي وترجمته دغويه ودوزي، ليدن 1968 م.

ابن أبي أصيبعة: أحمد بن القاسم بن خليفة (ت668 هـ)

عيون الأنباء في طبقات الأطباء، دار مكتبة الحياة، بيروت ،1965 م.

ابن بسام: على بن بسام الشنتريني (ت54هـ)

الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق: د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1979م

ابن تيمية: أحمد بن تيمية (ت728 هـ).

مجموع الفتاوى، نشر دار عالم الكتب، الرياض، 1991م.

الحاكم النيسابوري: أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ته 40هـ).

المستدرك على الصحيحين، مكتبة النصر الحديثة، الرياض، 1968 م.

ابن حجر: أحمد بن علي العسقلاني (ت 853هـ)

فتح الباري في شرح صحيح البخاري، تحقيق الشيخ عبد العزيز بن باز، نشر رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء بالمملكة، الرياض، د. ت.

ابن حزم: أبو محمد علي بن أحمد (ت 455هـ).

رسائل ابن حزم، تحقيق: د. إحسان عباس، مكتبة الخانجي، مصر، 1990.

الحموي : شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت129هـ).

معجم البلدان، دار صادر، بيروت، د. ت.

الحميدي : أبو عبد الله بن محمد بن أبي نصر (ت488هـ).

جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، تحقيق: إبراهيم الإبياري، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1983 م

الحميري: محمد بن عبد المنعم الحميري. (ت 727 هـ)

الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1970م.

ابن حنبل: أحمد (ت241 هـ).

المسند، ط1، نشر المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، بيروت، 1999 م.

ابن حوقل : أبو القاسم محمد بن حوقل البغدادي.

صورة الأرض، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1979م.

المراجع:

د. إبراهيم بوتشيش.

المغرب والأندلس في عصر المرابطين، نشر دار الطليعة، بيروت ، 1993 .

ابراهيم الجمل.

الإمام عبد الله بن ياسين، دار الإصلاح، القاهرة، د.ت.

د. إبراهيم حركات.

المغرب عبر التاريخ، نشر دار السلمي، الدار البيضاء، 1990 م.

النظام السياسي والحربي في عهد المرابطين، منشورات مكتبة الوحدة العربية، الدار البيضاء، د.ت.

د. إبراهيم طرخان.

امبراطورية غانة الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، 1970م.

د. إحسان عباس.

تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين"، دار الثقافة، بيروت، 1980م.

أحمد بن الأمين.

الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، مكتبة الخانجي، القاهرة ،1989م.

د. أحمد مختار العبادي.

دراسة حول كتاب الحلل الموشية، مجلة تطوان، العدد هـ، 1940م.

في تاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة الثقافة الجامعية، الأسكندرية، د.ت.

إدريس العلوي.

الدرر البهية والجواهر النبوية، طبعة حجرية، فاس، 1899 م

د. أبو العلاء عفيفي.

أبو القاسم بن قسي وكتابه خلع النعلين، مجلة كلية آداب الأسكندرية، المجلد 11 ،1907م.

د. عمر فروخ.

تاريخ الفكر العربي، دار العلم للملايين، بيروت ،1979م.

ليفي بروفنسال.

الإسلام في المغرب والأندلس، ترجمة: السيد عبد العزيز سالم ومحمد صلاح الدين حلمي، مؤسسة شباب الجامعة، الأسكندرية، 1990م.

مجموعة باحثين.

التاريخ الأندلسي من خلال النصوص، نشر شركة المدارس، الدار البيضاء ،1412هـ.

– د. محمد أحمد الغربي. 109 – موريتانيا ومشاغل المغرب الأفريقية، مطبعة ملاطو، الرباط، 1994م.

– محمد بن تاويت. 107– تاريخ سبتة، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1902هـ.

– د. محمد رزوق. 108 – دراسات في تاريخ المغرب، افريقيا الشرق، الدار البيضاء، 1991م.

– د. محمد بن شريفة. 109– اسرة بني عشرة، مجلة تطوان، العدد 10، 1990م. – د. محمد شعيرة. 190– المرابطون : تاريخهم السياسي، مكتبة القاهرة الحديثة، القاهرة، 1990م. – محمد

الطاهر بن عاشور. 191- التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، 1989م.

- محمد عبد الله عنان. 192- دولة الإسلام في الأندلس - العصر الثاني "دول الطوائف"، مكتبة الخانجي ،

القاهرة، 1988م. 193- دولة الإسلام في الأندلس "العصر الثالث " عصر المرابطين والموحدين، مكتبة

الخانجي، القاهرة، 1990م. - محمد بن محمد مخلوف. 164- شجرة النور الزكية في طبقات المالكلية، المطبعة السلفية، القاهرة، 1349 هـ. - محمد المختار السوسي. 160- سوس العالمة، مطبعة فضالة، المحمدية (المغرب)، 1990م. 166- المعسول، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1991م. - محمود إسماعيل عبد الرازق. 197- الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن 4هـ، دار الثقافة، الدار البيضاء

، 1979م. - محمود مكي 198- وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين، صحيفة المعهد المصري للدراسات

الإسلامية بمدريد، المجلدان السابع والثامن، 1909 - 1940م. - محي الدين اللاذقاني. 169- فانتازيا التاريخ، بحث مقدم لندوة الأندلس، قرون من التقلبات والعطاءات، مكتبة الملك عبد العزيز العامة بالرياض

، 1993م. - المختار بن حامد 170- حياة موريتانيا (الحياة الثقافية)، الدار العربية للكتاب، تونس، 1990م.

- الموسوعات: 177- تاريخ افريقيا العام اللجنة العلمية الدولية لتحرير تاريخ افريقيا العام ،

اليونسكو، باريس 1988م). 178 - الموسوعة الإسلامية الميسرة أشرف على تحريرها هـ. أ. جب، وجه. كالرز ،

ترجمة راشد البراوي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.، 1980م.

- Ben Achen hou (A) 1- Sidiabdallah Mou - 1 gara ou Abdallah Ibn Yassin, Hesperis 1946.

- Cuoq (J):

2- Histoire de l'Islamisation de L'afrique de L'ouest,

paris 1984 - Delachapelle (F):

3- Esquisse D'une Histoire du sahara occidental,

hesperis, T 11, 1930.:

- Delafosse (M): 4- Ghana & Le Mali & L'emplacement de leurs Capitales B.C.E.H.S.A.O.F. 1924.

- Devisse (J):

5- Te Gdaoust, paris 1970

6- The Almoravides.

- DOZY (R):

7- Recherches sur l'histoire de L'andalus.

8- Histoire des Musulmans de L'Espagne. LYDE 1932

ملخص

حاول هذا البحث أن يلقي الضوء على الدور الذي اضطلع به العلماء في عصر المرابطين من خلال مشاركتهم السياسية في الأحداث فوصل إلى حقيقة مهمة وهي أن العلماء في العهد المرابطي كانوا يشكلون طبقة اجتماعية انشطة وفاعلة اثرت في التاريخ السياسي لمنطقة المغرب الأقصى والأندلس وموريتانيا . وكانت اهم اعمالهم السياسية التي ابرزها هذا البحث : اقامتهم للدولة المرابطية . وقد اسدى العلماء بتكوينهم لهذه الدولة خدمة جلينة إلى الأمة الاسلامية إذ لمت هذه الدولة شمل شعوب اسلامية كثيرة كانت متناحرة .

كما اظهر هذا البحث الدور الفاعل الذي اسهم به العلماء في توحيد العدوتين المغربية والأندلسية من اجل انقاذ الأندلس من الهجمة النصرانية التي كادت تقتلع الاسلام من هذه البلاد.

وقد جلى البحث الدور الجهادي الكبير الذي قام به العلماء في الأندلس فساهم جهدهم في إضعاف حركة الاسترداد المسيحية في الأندلس وأجل سقوط هذا الجزء من ديار الاسلام حوالي قرنين من الزمن . كما ابقوا بجهدهم جذوة الجهاد حية في النفوس. وفي موريتانيا وغرب افريقيا اثمر جهد العلماء انتشار الاسلام وتوسع رقعته وتحول السودان الغربي من منطقة وثنية إلى منطقة اسلامية .

وقد بين البحث كيف أن العلماء في العهد المرابطي قاموا بتوحيد المشارب الفكرية والعقائدية وأن هذا التوحيد الفكري أدى في النهاية إلى توحيد سياسي وصار هوية لأهل المغرب الأقصى وموريتانيا والسودان الغربي .

كما تطرق البحث إلى نظرية العلماء المرابطين في الحكم وبين الباحث أن هذه النظرية القائمة على الشورى و استقلال القضاء تستمد اصولها من القرآن والسنة كما عرض البحث لبعض تجارب العلماء في الحكم والمعارضة وناقش نجاحات تلك النماذج واخفاقاتها معللا كل ذلك ومبر هنا .

الكلمات المفتاحية: الأثر السياسي، العهد المرابطي، العلماء المسلمين، الأندلس .

Résumé

Cette recherche a tenté de faire la lumière sur le rôle joué par les savants à l'époque almoravide à travers leur participation politique aux événements, elle est donc arrivée à un fait important, à savoir que les savants de l'ère almoravide étaient une classe sociale active et efficace qui a influencé le histoire politique de l'Extrême-Maghreb, de l'Andalousie et de la Mauritanie. La plus importante de leurs actions politiques mise en évidence par cette recherche : leur instauration de l'État almoravide. En formant cet État, les savants ont rendu un grand service à la nation islamique, car cet État a blâmé de nombreux peuples musulmans qui étaient en guerre.

Cette recherche a également montré le rôle actif que les savants ont joué dans l'unification des ennemis marocains et andalous afin de sauver l'Andalousie de l'attaque chrétienne qui a presque déraciné l'islam de ce pays.

La recherche a démontré le grand rôle djihadiste joué par les érudits en Andalousie, et leurs efforts ont contribué à affaiblir le mouvement de récupération chrétien en Andalousie et ont retardé la chute de cette partie de la terre d'islam d'environ deux siècles. Ils ont également gardé la flamme du jihad vivante dans leurs cœurs. En Mauritanie et en Afrique de l'Ouest, les efforts des érudits ont abouti à la propagation de l'islam et à l'expansion de sa superficie et à la transformation du Soudan occidental d'une région païenne en une région islamique.

La recherche a montré comment les érudits de l'ère almoravide ont unifié les parcours intellectuels et idéologiques et que cette unification intellectuelle a finalement conduit à l'unification politique et est devenue une identité pour les peuples de l'Extrême-Maghreb, de la Mauritanie et du Soudan occidental.

La recherche a également abordé la théorie des savants en poste dans la gouvernance, et le chercheur a expliqué que cette théorie basée sur la shura et l'indépendance du pouvoir judiciaire tire ses origines du Coran et de la Sunnah.

Mots-clés : impact politique, époque almoravide, savants musulmans, Andalousie.